JUNE — DECEMBER 1945 يونيو — ديسمبر سنة ١٩٤٥

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

أنشئت سنة ١٨٧٦

المجلد السابع بعد المائة

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by : Ismail Mazhar

VOL. 107

Founded 1876 By Drs Y. Sarrut & F. Nimr

المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع بعد المائة

١ يونيو سنة ١٩٤٥ — ٢٠ جمادى ثاني سنة ١٣٦٤

مجلس الاقتصاد والاجتماع

في الهيئة العالمية الجديدة

بين السلام والرخاء صلة وثيقة. ولكنها ليست صلة مطّردة. فإنْ لم يضمن الأمن، وتطمئنّ الشعوب إلى سلامتها، ظلّ الانتعاش الاقتصادي وهمًا من الأوهام، أو ظلّ على الأقل قائمًا على أساس مضطرب. وإنْ لم يتمّ الانتعاش الاقتصادي، تأصلت في أحضان القارة، تلك القوى الاجتماعية الهدّامة التي تنذر في جذور الحياة الدولية وتمهّد للحرب. فالضائقة الاقتصادية، وعدم الاطمئنان إلى أسباب العيش، هي خير تربة تنبت فيها الأحوال التي تهدّ من أركان الحياة الدولية الطيبة، وتذهب بقوتها. فيرتفع الطغاة إلى الذروة، ويقيمون طبقة على طبقة، وأمة على أمة. ولكنّ الرخاء لا يلازم بطبيعة الحال إقرار السلام وضمان الأمن، فكلّ مشروع غرضهُ تنظيم السلام، يجب أن ينطوي على مشروعات تتيح للرخاء أن يزدهر، لكي تظفر كلّ أمة، بما يضمن لها نماءها وبقاءها، عيشًا فوق مستوى الكفاف، وعملاً مستمرًّا، وفرصًا وافية للراحة والتعة. وتربية الأولاد. وقد يضيق نظر أمة من الأمم، فتعتقد أنها قادرة على تحقيق هذه الأغراض وحدها، وبغير تعاون وتبادل ولكنّ جميع عبر التاريخ الحديث تقوم حجة ناهضة، على أن هذا مستحيل. فليس بين الأمم أمة ما — حتى ولا الأميركية أو الروسية — تملك في أراضيها جميع الموارد اللازمة لتبلغ في إنتاجها أقصاهُ، فلا بدّ لها من أن تستورد، وإذا استوردت فلا بدّ لها من أن تصدر، وإذن فلا بدّ لها من أسواق. وحيث تقوم صلة أمة ما بالأمم الأخرى على أساس الاستيراد والإصدار، صار رخاءُ كلّ أمة جزءًا من الرخاء العام أي إن الرخاء

لا يتجزأ . وقد جرّبت طائفة من الدول ، طريقة « الاكتفاء » — على تفاوت بينها ، وهي طريقة الاستغناء عن العالم بقدر المستطاع . فلا تستورد الدولة إلاّ ما تعجز عن الفوز به في أرضها ، سواء من موارد طبيعية كان ذلك ، أم من موارد صناعية وضع العلم أوكانها . والغرض البادي هو رفع مستوى عيش الشعب ، بإغنائه عن العالم . ولكن النتيجة هي خفض مستوى المعيشة لأن جميع هذه الأعواض تقتضي من النفقة أكثر مما تقتضيه مثيلاتها المستخرجة من مواردها الطبيعية ولو نقلت من أقاصي الأرض . وسياسة الاكتفاء تقتضي قيوداً كثيرة ، من رخص الاستيراد والإصدار وتحديد مبالغ المال التي تنفق هنا أو هناك وهذه لا يمكن أن تفرض فرضاً دقيقاً ، إلاّ إذا كان الحكم دكتاتوريًا . والحكم الدكتاتوري يقتضي الاستبداد والتحكم وكم الأفواه وقديم العقول واستثارة الغرائز والأهواء ، والنأي بالحرب فانحطاط مستوى المعيشة يجاريه انحطاط مستوى الحياة المعنوية كذلك .

ومن هنا ما نُصَّ عليه في مشروع الهيئة العالمية الجديدة من إنشاء مجلس الاقتصاد والاجتماع ، هي أن يضمّ تحت جناحيه هيئات اقتصادية واجتماعية حتى يتسنى لبعضها أن تسعى وبعض في دور الانشاء مثل هيئة العمل الدولية ، وصندوق النقد الدولي ، وبنك التعمير والتحسين ، ومكتب الأمم المتحدة للطعام والزراعة ، وهيئة النقل الجوي وغيرها .

***

التي انشئت بعد الحرب العالمية الأولى ، التي استطاعت في تفاوتي تقلب الدهر بين يسر وعسر ، وسلام مستقرّ أو مضطرب ، وحرب مستعرة ، وحققت بعض ما عقد عليها من رجاء . وقد كان همُّها الأول أن تضمن لكل رجلٍ قادرٍ على العمل ، حقّ العمل ، وأحوالاً صحية يعمل فيها ، وجزاءً عادلاً عن عمله ، وضماناً له ولأسرته إن تعطّل عن العمل أو عجز عنه لتقدم السن به أو إصابته بعاهة أو مرض . ثم كان همُّها الثاني أن تنشئ الصلات الاقتصادية والصناعية بين الأمم وأن توثقها ، حتى تكون ركناً من الأركان التي يقوم عليها صرح السلام . فالصلة بين السلام والعدل الاجتماعي ، كالصلة بين السلام والرخاء وصلة وثيقة .

وقد أنشئت هيئة العمل الدولية في سنة ١٩١٩ على أنها جزء من التسوية العامة التي تمت في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية . والنصوص الخاصة بها تقع في القسم الثالث عشر من معاهدة فرساي فطلع هذا القسم من المعاهدة ينص على أن الدول المتعاقدة قد أسست هذه الهيئة مدفوعة بشعور العدل والانسانية والرغبة في الحصول على سلام العالم الدائم ،

ثم يقول إن أحوال العمل والمهال القائمة تنطوي على جور وحرمان لطوائف كبيرة من الناس من شأنها أن تجعل السلام والاتساق العالميين محفوفين بالخطر وتحتم العمل على تحسين هذه الأحوال.

ولذلك انشئت هيئة العمل الدولية على انها علاج لهذه الحالة.

وقد ورد في المادة ٤٣٧ من معاهدة فرساي بعض القواعد التي يجب ان تجري عليها هذه الهيئة في تحقيق القصد منها. وأولاها أن العمل يجب ألا يحسب سلعة أو مادة من سلع التجارة وموادها». ثم هناك قواعد أخرى وضعت للمحافظة على حسن العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال منها دفع الأجور الوافية وتحديد ساعات العمل والغاء عمل الأطفال وجعل الأجور للنساء والرجال واحدة اذا كان العمل واحداً وحماية حقوق العمال الأجانب وغيرها.

تتألف هيئة العمل الدولية برجه عام من الدول المنتظمة في عصبة الأمم أي ان الانتظام في العصبة يعني الانتظام فيها. ولكن العكس لا يصح. أي ان الانتظام في هيئة العمل الدولي لا يعني ولا يقتضي الانتظام في العصبة. فألمانيا كانت عضواً في هيئة العمل الدولي قبل ان تنتظم في العصبة سنة ١٩٢٥، والبرازيل كانت لا تزال عضواً فيها قبل الحرب مع انها انسحبت من العصبة. وقد انتظمت الولايات المتحدة عضواً فيها سنة ١٩٣٤، مع انها لم تنتظم في العصبة.

الا أن بين العصبة وهيئة العمل فرقاً [illegible] مجلس تشترك فيه الحكومات فقط وأما الهيئة فتشترك فيها الحكومات وجماعات العمال وأصحاب الأعمال. وكل دولة مشتركة فيها يحق لها ان تبعث اليها بأربعة مندوبين منهم مندوبان يمثلان الحكومة والمندوبان الآخران تعينهما الحكومة بالاتفاق مع الجماعات الصناعية إذا كانت قائمة فيمثل أحدهما العمال والآخر أصحاب العمل.

وهي ثلاثة أقسام: القسم (الأول) يعرف باسم المؤتمر العام وهو مؤلف من جميع ممثلي الدول المنتظمة فيه على أساس أربعة ممثلين لكل دولة. والقسم (الثاني) مجلس الادارة وقد كان عدد أعضائه أربعة وعشرين عضواً ١٢ عضواً منهم يمثلون الحكومات، وستة أعضاء يمثلون جماعات العمال، والستة الآخرون يمثلون جماعات أصحاب العمل. والقسم (الثالث) مكتب العمل الدولي.

وقد وصفت هيئة العمل الدولية خطأ بأنها انشئت لسن قوانين دولية للعمال والعمل. ولكنها في الواقع لا تملك سلطة تشريعية لأن الدول تحتفظ بسيادتها الخاصة في شؤون

العمل احتفاظ بها في الشؤون السياسية ، ولم تتخل عنها لأي مجلس دولي ، وليس لمؤتمر العمل الدولي الا أن يقترح فله أن يتخذ قرارات وأن يدعو الى الأخذ بها، وله أن يضع مشروعات قوانين وعلى الحكومات المنتظمة في المكتب ان تعرض هذه المشروعات على مجالسها التشريعية في حدود معينة من الزمن . ولكن الواجب على الحكومات المختلفة لا يتعدى هذا الفرض . وللسلطات التشريعية في أي دولة أن ترفض المشروع أو أن تقرر أو أن لا تتخذ أي قرار حياله . بل لأي حكومة أن تشير على المجالس التشريعية برفض أي مشروع ولو كان مندوبها قد وافق عليه في مكتب العمل نفسه . وقد حدث ما هو من هذا القبيل مراراً .

وقد أقرت هيئة العمل الدولية عشرات من مشروعات القوانين بلغت صبغة وستين عند نشوب الحرب عدا المقترحات والتوصيات التي اقترحتها أو أوصت بها . وقد عرضت هذه جميعاً على المجالس النيابية في الدول المنتظمة في الهيئة وفقاً لنظمها ولكن يسع القول بأن الدول تلكأت أولاً في ابرامها بوجه عام . ومع ذلك فلم تكد تحل سنة ١٩٤١ حتى كان عدد ما صدق عليه من مشروعات القوانين في شتى دول الأعضاء ٨٧٩ تصديقاً ، وبعض الموضوعات التي شملتها هذه المشروعات — تنظيم وتحديد ساعات العمل ، تحديد أدنى أجور للعمل ، وساعات الراحة كل أسبوع ، الاجازات السنوية ، العمل ليلاً للنساء والاطفال ، عمر الاطفال في الصناعة ، والتأمين الاجتماعي ، وغيرها .

وقد كانت الدول الفاشستية ناقة على هيئة العمل الدولية ، فانسحبت منها المانيا النازية فايطاليا الفاشستية فاليابان . وحين صاق خناق المانيا وايطاليا على سريسرا — مقر العصبة والهيئة — نقلت هيئة العمل مقرها من قارة أوربا الى كندا . ولم تلبث في مقرها الجديد ، حتى أخذت تحذر عما يحيق بالعمال في القارتين الامريكيتين، خطر الدعاية النازية، وحين عقدت دول الجامعة الامريكية مؤتمرها في هافانا في جزيرة كوبا ، في مستهل الحرب ، نبهت هيئة العمل الدولية ، ممثلي الجمهوريات الامريكية ، إلى أن « حماة الديمقراطية يجب أن يتسلحوا ويستيقظوا » واعترف أعضاء المؤتمر بقيمة هذا التنبيه فقطعوا عهداً « بتأييد الحكومات والشعوب في القارة الاميركية تأييداً لا يضعف ، لكي تواصل هيئة العمل الدولية مساعيها دون أن يلم بها وهن »

***

وقد حرصت هيئة العمل خلال الحرب ، على أن تسير على صون ما أدركه العمال من التقدم الاجتماعي وتوسيع نطاقه . وليس ثمة دولة منها تكن صغيرة لا تظفر من الهيئة باهتمامها ، ولا دولة منها تكن كبيرة وقوية ، تستطيع أن تهمل طويلاً المسائل التي تدعى بها

الهيئة فالحياة التي ستنبثق من أتون الحرب ، مرتبطة أوثق ارتباط بالمنشآت العالمية التي ينتظر قيامها ، وبشدة ما توليها إياهُ جماهير الناس من ثقة وتأييد وولاء

ورجال هذه الهيئة يشعرون شعوراً صادقاً بعظم التبعة الواقعة على كواهلهم ، وتعقيد المشكلات التي ما فتئت الهيئة تعالجها منذ ربع قرن أو يزيد ، وقد أضيفت اليها مشكلات أخرى ، تتصل بأحوال العمل والعمال في البلاد التي أكتوت بنار الحرب في أوربا ، وملايين العمال الذين رُحلوا من بلادهم إلى المانيا ، إما بالقوة وإما بالاغراء ، وإحياء الجمعيات التي كان للعمال وأصحاب العمل ممثلون فيها ، وانشاء المكاتب التي توجه العامل الى العمل الذي يطلبهُ أو يطيقهُ ، والحثّ على بسط نظام الضمان الاجتماعي للعمال وما أشبه .

وقد عقدت هيئة العمل الدولية في ابريل ومايو من سنة ١٩٤٤ مؤتمرها السادس والعشرين في فلادلفيا ، فأسفر هذا المؤتمر عن وثيقة اجتماعية خطيرة أطلق عليها اسم « دستور فلادلفيا » وهي تقرر ان العمل حق وليس سلعةً ، وان الفاقة في أي مكان خطر يهدّد الرخاء في كلّ مكان ، وأن الحرب على الفاقة يجب أن تشنّ في كل أمة ، وأن توحد المساعي الدولية لتعزيز الخير العام ، وأن جميع الناس بصرف النظر عن السلالة والعقيدة والجنس ، يحق لهم أن يطلبوا العيش الرضيّ والنموّ الروحي في أحوال توفر لهم الحرية والكرامة والأمن والمساواة ، وأن تحقيق هذا الغرض يجب أن يكون الهدف الاول لكل سياسة قومية ودولية ، وأن جميع السياسات القومية والدولية ، وجميع الاجراءات ولا سيما الاقتصادي والمالي منها ، يجب أن تقاس قيمتهُ بمقياس ما يسديهِ من خدمة إلى تحقيق هذا الهدف ، وأن من هيئة العمل الدولية ، أن تستوفي بحث هذه السياسات ، على ضوء ما يرجى منها لتحقيق هذه الأغراض وأن تنشر قراراتها وتوصياتها وتضمُّ اليها ما تراهُ موافقاً .

والقسم الأخير من دستور فلادلفيا ينطوي على قرارات خاصة بأحوال العمل والتدريب والمساومة المشتركة والضمان الاجتماعي والتأمين على الحياة والصحة ورعاية الحوامل والأمهات والأطفال ، وتوفير الغذاء والمأوى وأسباب التسلية والتثقف والتربية .

وحين استقبل الرئيس روزفلت في وشنطن أعضاء المؤتمر بعد ارتضاعه خاطبهم فقال : لقد أيّدتم ولاءكم لمبادئ هي أركان في صرح السلام ... ولخصتم في تصريحكم آمال عصر اكتوى بنار حربين عالميتين . وإني لاعتقد أن الاجيال المقبلة ستعدُّ « دستور فلادلفيا » علماً بارزاً في تفكير البشر ، ويسرني أن اغتنم هذه الفرصة ، لأوافق على سواده المفصلة باسم الولايات المتحدة . وأرجو أن لا يطول الزمن قبل أن توافق على سوادته المفصّلة جميع الأمم المتحدة .

وستكون هيئة العمل الدولية ، إحدى الهيئات التي تنشئها الهيئة العالمية الجديدة ، تحت جناحيها وتحت رعايتها العامة الجمعية العمومية . وتاريخ هيئة العمل الدولية وما لها من مآثر في خدمة قضية السلام يعزز الرجاء بأنها ستساهم منذ اليوم في توفير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي تؤاتي السلام . وخدمة التعمير الاقتصادي والاجتماعي بعد الحرب .

***

وفي شهر يوليو من سنة ١٩٤٤ اجتمع في بلدة بريتون وذز في ولاية نيوهامشير بالولايات المتحدة مؤتمر مالي حضره ممثلو أربع وأربعين دولة . وقد وضع هذا المؤتمر مقترحات لمعالجة الناحية المالية من مشكلات العالم الاقتصادية بعد الحرب ، وكان في طليعة هذه المقترحات « صندوق دولي للنقد » مهمته إقرار ضروب النقد بعد الحرب ، وصلتها بعضها ببعض لتيسير التبادل بين الأمم على أساس من نقد غير مضطرب ، ويليه « البنك الدولي للتعمير والتحسين » وأعني عمله ضمان القروض اللازمة التي تعقد للأمم المنكوبة . فأوربا — مثلاً — قد خرجت من غمة الحرب العالمية الثانية وقد تصدعت أركان حياتها الاقتصادية فليس في التاريخ ذكر حرب خلفت وراءها من الدمار ما خلفته هذه الحرب . فأسباب المواصلات ممزقة ، ولقد تجد القمح فلا تستطيع أن تنقله إلى العالم . وقد ترى منتجات المصانع ومقادير الطعام مكدسة فلا تستطيع أن توصل مقادير وافية منها إلى المستهلكين . والمصانع نفسها أنقاض ، وكذلك محطات توليد الطاقة المحركة والضيئة ، والجسور ومنشآت المرافق . وقد تركت الحرب جراحاً كبيراً في الأرواح والأموال والناس أنهكتهم الحرب واجتثتهم وأمرضتهم ، فتعمير أوربا أمر لا مفر منه منعاً للفوضى أن تعصف بشعوبها ، وإقامة لركن أصيل من أركان الاقتصاد الدولي إنتاجاً واستهلاكاً .

وليس هذا التعمير بالأمر السهل ، إذ يجب أن يخضع لقاعدتين متلازمتين ، على مجلس الاقتصاد والاجتماع ومجلس الدول الظافرة ، أن يوفقا بينهما . ففي الناحية الواحدة ، يجب أن يكون التعمير ملازماً ومؤيداً للتنظيم السلمي والحربي الذي غرضه أن يحول دون قيام قوة الثانية الحربية مرة أخرى ، وفي الناحية الأخرى يجب أن يكون أساساً لانتعاش الحياة الاقتصادية انتعاشاً يتيح لشعوب أوربا أن ترفع مستوى معيشتها رفعاً مطرداً ويضمن لها رخاء العيش وحسن الناس .

وعلى « البنك الدولي للتعمير والتحسين » في هذا العمل من ناحيته المالية تبعة عظيمة ولنفرض أن هيئة أمثله في إحدى الدول المتوسطة — يوجسلافيا — أرادت أن تنشئ مشروعاً كبيراً لتوليد الطاقة الكهربائية من مياه أحد أنهارها . وهي لا تملك المال اللازم

المال ولا المعدات الضخمة. فلو لم يكن ثمة بنك دولي مهمته أن يعاون على هذا التعمير، لذهب ممثلو يوجوسلافيا إلى سوق المال في لندن ونيويورك ليحاولوا عقد قرض مع بنك كبير أو مع كتلة من البنوك في إحداهما أو فيهما كليهما. ولكن هذا البنك أو هذه الكتلة من البنوك، لا سيطرة لها على شؤون يوجوسلافيا الداخلية. إن هي إلا منشآت مالية خاصة، ومهمة مديريها أن يضمنوا لمساهميها ما لهم وأقصى ربح ممكن، فتفرض على يوجوسلافيا شروطاً مرهقة أو مستحيل التسليم بها، فيما يتعلق بالفائدة واستهلاك القرض وضمانه. وقد يعقد القرض وقد لا يعقد. فإن لم يعقد حرمت يوجوسلافيا انشاء مشروع عمراني مفيد يزيد قدرتها على الانتاج ويرفع على الزمن مستوى معيشة أهلها. وإن عُقد فربَّما عجزت يوجوسلافيا عن النهوض بالتزاماتها، فيضير أصحاب المال، كلٌّ مالهم أو بعضهُ.

ثم لنفرض أن السعي لعقد هذا القرض تمّ وهذا البنك الدولي حقيقة قائمة. فماذا يحدث. يذهب ممثلو الدولة التي تريد عقد القرض، إلى لجنة القروض في البنك، ويطلب المال من البنك. فتسأل اللجنة ثلاثة أسئلة. أولاً — هل المال المطلوب [illegible] يتصل به لاغراض حربية أو هل يمكن أن يستعمل لاغراض حربية، وثالثاً — هل تضمن الحكومة اليوجوسلافية هذا القرض، فاذا كان الجواب عن السؤالين الأول والثالث بالايجاب، وعن الثاني بالنفي، قرَّر البنك أن يعقد القرض، أو على الأرجح أن يضمنه للبنوك التي تعقدهُ، فتكون شروطهُ أقلَّ إرهاقاً، ويأخذ البنك لقاء عمله هذا أجراً قيمتهُ واحد في المئة في السنة.

فإذا طبِّقت عمل البنك الدولي على عشرات من هذه المشروعات العمرانية في أوربا، علمت مبلغ نصيبه في عمل التعمير الاقتصادي والاجتماعي.

وقد قال مورجنثاو وزير مالية الولايات المتحدة، في وصف النتائج التي أسفر عنها مؤتمر بريتون وودز: لقد وضعنا نظاماً يتيح للناس في كل مكان ان يتبادلوا السلع تبادلاً حرًّا. على أساس من الانصاف والاستمرار... وخطونا الخطوة الأولى التي تمكن أمم العالم من أن يساعد بعضها بعضاً في التقدم الاقتصادي تقدماً ينفعها ويزيد ثروتها جميعاً» ولم تكن الوفود التي حضرت المؤتمر مفوَّضة فالمشروع مطروح لإقراره، وبرغم ما وجه إليه من نقد، يرجح أن إقراره مضمون

فؤاد صروف

قواعد النظام المالي

— ١ —

الخراج

الخراج لغة ، حصيلة الضريبة المفروضة على قطعة أرض أو عبد . واصطلاحاً هو الضريبة المفروضة على الأرض ، على المشهور . وبهذا التعريف حتى يسمى الجزية كذلك بحسب رأي البعض . وهو من أموال الفيء ، ويفرض ابتداءً على الذميين . مثله مثل الجزية ، ولكنه لا يسقط بالاسلام في حين أنها تسقط به ، وهذا ما يميزه عن الجزية

وأكثر مؤرخي العرب يستعملون كلمة « خراج » وهم يعنون الايرادات ، على أن هذه الكلمة بالمعنى الحقيقي لها ، تدل على ما يجبى من الأرض المزروعة . وهذا يعزى الى ما للخراج من خطر في المالية العامة الاسلامية ، اذ يكون الجزء الأعظم من ايرادات الدولة ، بل كانت جميع الايرادات الأخرى لا تعدو [illegible] بدع ان يسمي هؤلاء الكتّاب مجموع الجباية خراجاً ، باطلاق مدلول الجزء على الكل .

١ — منشأ الخراج

الأرض التي يستولي عليها المسلمون تنقسم من وجهة طريقة الاستيلاء عليها قسمين ، أرض تصلح ، وأرض العنوة . فأما أرض الصلح فهي التي طلب أصحابها الأمان والدخول في ذمة المسلمين مقابل مقدار من الأموال ينفق عليه الطرفان ، وعلى هذا تضم بلادهم الى دار الاسلام ويعدون رعايا الدولة الاسلامية . ويجب احترام ما صولحوا عليه ولا يجوز للامام قطعاً الخروج على شروط الصلح ، اذ يعد هذا نكثاً بالعهد الاسلامي .

وأما أرض العنوة فهي البلاد التي استولى عليها المسلمون غلبةً وقهراً ، وقد صار في شأن هذه الأرض جدل عنيف ونقاش طويل ، وانقسم المسلمون فيها فريقين .

الفريق الأول — يقول بتطبيق قاعدة الغنائم عليها ، أي تُخَمَّس ، فيعطى الخمس

للدولة لينفق في مصارفه، وتفرق أرامة الأخماس الباقية على من حضروا القتال ، اذ لا معنى البتة للتفرقة بين ما يستولي عليه المسلمون من المنقول في السلاح والنقود ، وبين العقار كالأرض . ويرى الفريق الآخر ان الأرض يجب أن تظل في أيدي أصحابها يستثمرونها ويفرض عليها الامام ، مقابل هذا ، مقداراً يؤدونه على حسب ما يراه، وبذلك تكون فيئاً للمسلمين جميعاً على كرّ السنين ولعاقب الدهور .

وسنبسط رأي كل فريق متخذين مثلين بارزين : العراق ومصر

١ — فتح العراق : لما فتح المسلمون العراق (السواد) استشار عمر بن الخطاب الصحابة فيما يجب عمله بشأنه فرأوا أن يقسموه ، وكان بلال بن رباح أشدهم في ذلك ، ومن قوله لعمر « اقسم الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر » ، وقال آخرون بان هذا حق من حقوقهم نجب قسمته بينهم، فكان عمر يجيب : « فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت ، ما هذا برأي » . فقال له عبد الرحمن بن عوف : فما الرأي ؟ ما الأرض الا مما أتاه الله عليهم . فقال عمر « هذا هو الذي تقول وليست أرى ذلك ، والله لا يقع بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل ، بل عسى أن يكون كلا على المسلمين ، إذا قسمت الأرض العراق والشام فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق ، فأكثروا على عمر وقالوا « أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولا بناء أبنائهم ولم يحضروا » . فكان عمر لا يزيد على أن يقول هذا رأيي ، قالوا فاستشر . فاستشار المهاجرين الأولين فاختلفوا وانقسموا فريقين ، فريقاً يرى رأيه وآخر يخالفه . فأرسل الى عشرة من الأنصار من كرامهم وأشرافهم فلما اجتمعوا قال : « اني رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم فقسمت ما غنم من أموال بين أهله ، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه . قد رأيت أن أحبس الارضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم . أرأيتم هذه الثغور لا بدّ لها من رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام الشام والجزيرة والكوفة والبصرة لا بدّ لها من أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم ، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون فقالوا « الرأي رأيك » فنعم ما قلت. وما رأيت إن لم نشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ونجري عليهم ما يتقوون به ، رجع أهل الكفر إلى مدنهم . « فقال » قد بان لي الأمر فمن لي برجل له جزالة عقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون . فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف، فولاه عمر مساحة أرض العراق فأدت حماية سواد الكوفة

قبل أن يموت عمر بعام مائة الف الف درهم، والدرهم يومئذ درهم ودانقان ونصف ، وكان وزن الدرهم وزن المثقال [1]

***

هذا مجمل ما ذكره ابو يوسف عن هذا الحادث الخطير في الاسلام آثرت ايراده على علاته لاضع صورة واضحة للقارئ الكريم عن التيارين اللذين كانا يتجاذبان هذا الموضوع والنقاش الذي دار بشأنه والذي انتهى بفوز رأي عمر، أي بوقف الأرض على الصالح العام. والواقع ان عمر كان يكره تملك المسلمين للارض ويخشى إذا تملك العرب الأراضي واشتغلوا بالزراعة استكانوا للدعة واستطابوا رغد المدنية فيهملون فرض الجهاد . فحرّم عليهم اقتناء الضياع والزراعة لأن أرزاقهم وأرزاق عيالهم وما يملكون من عبيد وأموال ، كل ذلك يدفعه لهم من بيت المال .

وسيما يكن من أمر فقد كان رأي عمر هذا خيراً للعرب عامة وأهالي البلاد المفتوحة بصفة خاصة ولا سيما إذا لوحظ أنه إذا قسمت الأرض بين الفاتحين لم يستطع هؤلاء استغلالها بمثل المقدرة التي كان أصحابها الأولون يبذلونها ، لجهل العرب بأصول زراعتها وعمارتها . وفي هذا يقول أبو يوسف « وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم ، لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الاعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقوّ الجيوش على السير في الجهاد ، ولما أمن رجوع أهل الكفر الى مدنهم إذا حصلت من غلاتها . . . الخ »

ب — فتح مصر : لما تمّ فتح العرب لمصر اختلف في شأنها ، عنوةً كان فتحها ، أم صلحاً ذا عهد وشرط . وقد ثار الجدل الذي قام عقب فتح العراق بشأن تقسيم البلاد بين الفاتحين كما مرّ بنا ، إذ طلب فريق الفاتحين وعلى رأسهم الزبير بن العوام قسمة البلاد فأبى عمرو بن العاص ذلك وكتب الى عمر في هذا الشأن فردّ عليه بقوله « حتى يغزو منها حبل الحبلة »[2] بمعنى ان مصر عوملت كما عوملت العراق فتركت الأرض في أيدي أصحابها يستغلونها ويدفعون عنها مقداراً معلوماً كان في أول أمره دينارين . وبذلك أصبح الأمر قاعدة عامة اتخذها العرب في كل بلد فتحوه . وتتبين أهمية اعتبار البلد فتحت عنوةً أو صلحاً عند البحث في تقدير الخراج .

---

(١) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي « الخراج » صفحة ١٤ — ١٦

(٢) ابن عبد الحكم فتوح مصر صفحة ٨٤ — ٨٨

٢ — تقدير الخراج

الأرض التي صولح عليها أهلها ، يؤدون عنها ما تعهدوا بأدائه ولا يجوز للامام أن يستأدي أكثر منه في جميع الأحوال ، سواء زادت غلاتهم أو قلت ، ساد الرخاء أو انحلت البلاد . أما الأرض التي فتحت عنوة فاتبع العرب نحوها احدى طريقتين . خراج الوظيفة أو خراج المقاسمة .

وخراج المقاسمة عبارة عن جباية مقدار نسبي من محصول الأرض كالنصف أو الثلث أو الربع أو الخمس . أما خراج الوظيفة فمقداره ثابت يفرض على الأرض ، وهذا المقدار كمية من المحصول أو النقد ، أو محصول مساحات معينة من أرض أو عدد معلوم من الأشجار . ويفرض الخراج على الأرض بصرف النظر عن كون المالك قاصراً أو بالغاً ، حرًّا أو عبداً ، رجلاً أو امرأة ، مسلماً أو ذميًّا . ويتفرَّع على ذلك إنه إذا أسلم مالك ذمي أو باع أرضه لمسلم فلا يتغير وضع الأرض ، أي يجبي منها الخراج [1] — وسنفرق في كلامنا على سعر الضريبة بين القواعد الشرعية وبين ما أتبع فعلاً .

١ — القواعد الشرعية : نسب الأداء تجبى من جميع الأراضي الصالحة للزراعة والسهلة الري على الوجه الآتي : — (المذهب الحنفي) صاع من الشعير أو التمر ودرهم عن كل جريب من الشعير أو القمح (الجريب ٣٦٠٠ ذراع مربعة) . ويرى الشافعي أربعة من القمح وعن جريب الشعير درهمان . وتؤدى النسبة عن جريب الرطبة خمسة دراهم ، ولكن الشافعي يراها ستة وعن كل جريب من الأشجار الملتفة المتشابكة وكروم العنب والنخيل عشرة . ولكن الشافعي يراها ثمانية ويرى الموارديي (المذهب المالكي) عن الأشجار عشرة وعن النخيل ثمانية دراهم وعن قصب السكر ستة دراهم .

ويشترط في فرض الضريبة على الأشجار أن تكون كثيفة الانبات متشابكة إلى درجة يتعذر معها زرع المسافات التي تتخللها . أما إذا كانت متباعدة وقائمة في حقول فتعفى من الضريبة ، إذ تؤدي في هذه الحالة ضريبة الأرض المزروعة [2] .

وقد حدَّد فقهاء المذهب الحنفي النسبة القصوى لضريبة الخراج بما يسمونه « غاية الطاقة » بالنصف من المحصول كله ، ويتفرَّع على هذا ألا يجوز فرض ضريبة تتعدى هذه النسبة المقررة ، وينتج عن هذا المبدأ أيضاً إمكان انقاص الخراج إلى الحد الذي تطيقه

(١) يرى الامام مالك وجوب رفع الخراج في هذه الحالة أسوة بالجزية
(٢) الفتح جزء ٥ صفحة ٢٨٢

الأرض . ولا يجوز فيما يبدو للطبري زيادة النسب التي قررها عمر حتى لو كانت الأرض تحتمل نسبة أعلى . وقد يؤيد ذلك (ص ٣٦٥) أنه لا يجوز بحال من الأحوال أن يتعدى الخراج خمس حدًا أدنى والعشر حدًا أعلى .

وإذا قرضت الضريبة للمرة الأولى تحت الحكم الاسلامي . فأبو حنيفة وأبو يوسف يريان أنه لا يزال من غير المباشر شرعًا وضع حدود تجاوز ما استنه عمر . ويستدلان على ذلك بأنه خاطب سكان السواد (العراق) عثمان وحذيفة بقوله « إنه يخشى أن يكون قد حمل الأرض ما لا تطيق فأجابه بأنهما خلاها بما تطيق وإنهما لو شاءا لحملاها أكثر وتطيقه . فهذه العبارة تبين أنه يجوز انقاص النسبة اذا كانت الأرض لا تحتملها ، ولكن من جهة أخرى لا يجوز زيادتها حتى لو استطاعت تحمل النسبة الجديدة . إذ أن عمر على الرغم من علمه بأن الأرض يمكنها تحمل نسبة أعلى ، رفض زيادة النسبة القائمة .

ويطابق رأي يايي الآراء السالفة وهو رأي احمد بن الحسن الذي يقول بجواز فرض النسبة العالية ما دامت قد وضعت على أساس طاقة الأرض واحتمالها [1]

واذا كان المحصول لم يرد فيه نص شرعي فان الماوردي يرى جواز تأدية النسبة المفروضة عن المحصول الأقرب إلى الظهر وأوجه الانتفاع

ب — ما أتبع فعلاً في فرض الخراج

أمر عمر بمسح أرض السواد فبلغت ستة وثلاثين الف جريب فوضع على جريب الزرع درهماً وقفيزاً [2] وعلى الكروم عشرة دراهم وعلى الرطبة خمسة دراهم وعلى النخل ثمانية دراهم وعلى قصب السكر ستة دراهم وعلى الشجر درهمين .

وقد تحسنت الأحوال الاقتصادية في العراق في عهد العباسيين إذ جعلوه مركز دولتهم فلما تولى المنصور رأى ان استبناء الخراج عليه بالمساحة لا يلائم حالة السكان فجعل خراج الحنطة والشعير (وهما أكثر غلات العراق مقاسمة) وأبقى اليسير من الحبوب والنخل والشجر على قاعدة المساحة ، فاذا زادت الغلة زاد الخراج واذا نقصت نقص .

٢ — خراج المقاسمة : سنأخذ مثلين بارزين هما العراق ومصر .

فأما العراق فقد سار بنا ما فعله المنصور . وقد استمر الحال على هذا الى أيام المهدي (١٥٦-١٦٩ هـ) الذي جعل المقاسمة بالنصف في الأرض التي تسقى بالأمطار وبالزرع في الأرض التي تسقى بالدواليب وبالثلث في الأرض التي تسقى بالدوالي ، وبقي خراج النخل والكرم

---

(١) الهداية صفحة ٢٨

(٢) الجريب = ٣٦٠ ذراع مربعة والقفيز عشر الجريب اي ٣٦ ذراعاً مربعة . ويعبرون عن القفيز وزناً بثمانية أرطال ويقدرونه بثلاثة دراهم (انظر الماوردي في الأحكام السلطانية صفحة ١٣٧)

والشجر على المساحة كما كانت أيام المنصور وفضل بعضه على بعض باعتبار قربه من الأسواق والعرض [1] وقد زاد الهادي هذا الخراج فيما بعد الى أن أصبح ٦٠ ٪ من غلة الأرض . وفي عهد الرشيد أرجع الخراج الى ما كان عليه أيام المهدي . ولما تولى المأمون جعل الخراج ٤٠ ٪ من المحصول وخفض كذلك خراج بعض البلاد الأخرى .

أما في مصر فقد ذكر ابن عبد الحكم [2] انه كان يجتمع عرفاء كل قرية (أهل الرأي فيها) اذا ما دعت الدواعي لانقاص الخراج أو لزيادته فيتناظرون في العمار والخراب . فاذا انتهى تناظرهم وجدلهم بوجوب الزيادة مثلاً اجتمعوا هم ورؤساء القرى الأخرى ووزعوا الزيادة على جميع القرى كل على حسب طاقتها واحتمالها وتبعاً لسعة مزارعها ، ثم ترجع كل قرية بقسمها فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة فيبذرون فيخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعداتهم من جملة الأرض ، ثم يخرج منها عدد أيام الضيافة للمسلمين ونزول السلطان . فاذا فرغوا نظروا الى ما في كل قرية من الصناع والأجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم — فان كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها ، ثم ينظرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم كلٌّ على قدر طاقته ، فان عجز أحد وشكا ضعفاً عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة أعطي ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحنوا قسموا ذلك على عددهم . ويستنتج مما رواه ابن عبد الحكم ان عمرو بن العاص فرض على كل فدان مزروع حبًّا نصف أردب قمح وويبتين من الشعير ومجموع ذلك خمس وبيات من الحبوب

متر مربع . أما الأرض المزروعة برسيماً فلم يفرض عليها خراج .

ثانياً — العوامل التي تحدد الضريبة [3]

ان على واضع الخراج على مساحة ما من الأرض أن يأخذ في اعتباره طاقة الأرض على تحمل الضريبة . وهذه الطاقة تتغير بتغير عوامل ثلاث : فأول هذه العوامل يتعلق بالأرض نفسها أي نوعها . فهو يؤثر في نوع المحصول وكميته . والعامل الثاني نوع المحصول الذي يؤثر في ثمنه ودرجة الاقبال عليه . والثالث يتعلق بطريقة الري . فالمحصول الذي يرويه ماء يحمل على ظهور الحيوان أو بواسطة آلة رافعة لا يستوي من حيث الجهد المبذول في ريه مع

---

(١) البلاذري « فتوح البلدان » صفحة ٢٩١ ووارد أيضاً في الماوردي « الاحكام السلطانية »

(٢) ابن عبد الحكم « فتوح مصر » صفحة ١٥٢ — ١٥٣

(٣) الاحكام السلطانية للماوردي صفحة ١٣٣ ـ ١٣٥ ، انظر كذلك الاحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي صفحة ١٥١ـ١٥٢

المحصول التي يروى بماء الانهار الجارية أو الامطار . ويقوم الري على أربع طرائق :

١ — الري بدون الاستعانة بأداة ما ويكون ذلك بواسطة الماء الجاري الصادر من الينابيع أو الانهار بتحويله عن مجراه الى الحقل . وهذه الوسيلة هي أكثر الوسائل ربحاً وأجزلها عائدة ، كما انها أقلها كلفة ، لان الماء يحول الى الارض اذا احتيج اليه ويحول عنها اذا ما بطلت الحاجة اليه .

٢ — الري باستخدام واسطة كأن يحمل على ظهور الحيوان أو يحصل عليه بواسطة رافعة . وتلك الوسيلة هي أشق الوسائل وأكثرها كلفة .

٣ — الري الطبيعي بواسطة الامطار أو البرد أو الطل .

٤ — الري بواسطة رطوبة التربة أو الماء الكامن في جوف التربة ، في هذه الحالة تروى المحاصيل بواسطة جذورها .

ويعتبر الري بواسطة القنوات من القسم الاول اذا كان الماء المستخدم جارياً ، ومن القسم الثاني اذا لم يكن كذلك . والري بواسطة الماء المستخرج من الآبار يقع في القسم الثاني اذا كان يجلب على ظهور الحيوان وفي القسم الاول اذا وصل الارض بواسطة القنوات

نخلص من ذلك الى القول بأن على واضع الخراج مراعاة العوامل الثلاثة سالفة الذكر أي طبيعة الارض ونوع المحصول وطريقة الري . وبذلك تتحقق وتصان مصلحة فريقي المكلفين بالاداء والمنتفعين منه . وقد ذكر بعضهم عاملاً رابعاً يتعلق ببعد الارض عن المدن والاسواق . ودللوا على ذلك بأن ثمن الارض يطرد ارتفاعاً وهبوطاً مع قربها أو بعدها عن مراكز التعويض بيد أن آخرين يردون على هذا الرأي بأن هذه الحالة تنطبق فقط اذا ما كان الخراج يؤدى نقداً ، ولا يكون كذلك اذا ما كان يؤدى عيناً في حين أن العوامل الثلاثة سالفة الذكر لها أثرها في كلتا الحالتين .

واذا ما فرض الخراج على أساس المبادىء سالفة الذكر فانه يقرر تبعاً لاجزل الطرائق عائدة — يفرض على مساحة الارض اجمالاً وأما على الجزء المزروع من الارض حسب ولما أخيراً على المحصول وتتخذ السنة القمرية لحساب الخراج اذا فرض على الارض برمتها . واذا فرض على الجزء المزروع اتخذت السنة الشمسية في الحساب ، أما اذا فرض على المحصول فلا يستحق إلا منذ نضجه وتهيئته للاستهلاك . وإذا ما اتبعت طريقة من طرائق فرض الخراج سالفة الذكر فلا يجوز تغييرها والاخذ بطريقة أخرى ولكن تستمر دواماً بلا تبديل طالما لم يتغير وضع الارض . أما اذا تغير وضع الارض فيفرق بين حالتين .

الاولى — حالة ما اذا كان التغير الحادث راجعاً الى فعل صادر عن صاحب الارض ترتبت

عليه زيادة الطاقة الانتاجية للأرض . كأن يحول اليها من نهر أو حفر بئر . والعكس إذا ما ترتب على هذا العمل هبوط طاقتها الانتاجية كإهمال زرعها أو استخدام وسائل قاصرة في ذلك . وفي الحالة الأولى لا يزاد الخراج بزيادة الطاقة الانتاجية ، وفي الحالة الثانية يلزم صاحب الأرض بالعناية بزراعتها لئلا تصبح بوراً .

الثانية — إذا حدث التغير نتيجة لعمل خارج عن ارادة صاحب الأرض بسبب حادث طبيعي طارئ سواء نجمت عنه فائدة للأرض أو ضرر لها فيفرق بين حالتين : —

١ — اذا أحدث التغير ضرراً كانخساف الأرض أو جفاف ماء النهر فان كان الاصلاح ممكناً فعلى الامام القيام به بالاستعانة بالدخل المخصص للأعمال ذات النفع العام ويرفع الخراج عن صاحب الأرض طوال الوقت الذي تظل خلاله عطلاً من الزرع . أما إذا لم يكن الاصلاح ممكناً بأن تصبح الأرض غير صالحة للزرع فيرفع الخراج عنها نهائياً ، اللهم إلا إذا أمكن الانتفاع بها في أغراض أخرى كالصيد أو الرعي وفي هذه الحالة يؤدى الخراج عليها كما يؤدى على الأرض الباقية لها .

٢ — وإذا حدث من الجهة الأخرى أن أفاد التغير الأرض بأن تبع النهر مجرى جديداً فأصبحت الأرض تروى بالماء الجاري بعد ان كانت تروى ريًّا سانيًّا ، فللامام الخيار في زيادة مقدار الضريبة أو ابقائها على ما هي عليه حسبما يتفق والمصالح العام . ويشترط في ذلك أن يتحقق للتغير صفة الدوام والثبات أما إذا كان التغير وقتيًّا فالضريبة تبقى على ما كانت عليه .

وإذا ما تعذر زرع الأرض سنويًّا بأن لزم تركها بدون زراعة لارتباطها السنة التالية لزراعتها ، فيجب تطبيق أكثر الطرائق الآتية اتفاقاً مع المصالح العام . إما يفرض على الأرض نصف السعر الشائع وإما تعتبر وحدتا المساحة (جريبان) وحدة واحدة (جريباً واحداً) وبذلك يتفادى بتقاضي شيء على الجزء غير المزروع . أو أخيراً يفرض السعر على الجزء المزروع فحسب . وإذا أقدم أحد المكلفين بدون اذن من الامام على استبدال فرع ما من المحصول يؤدى عليه سعر حال بآخر يؤدى عليه سعر أقل فانه يجبر على الاستمرار في أداء السعر الأعلى لأنه مسئول عن هبوط السعر .

وإذا ما زرع شخص في حقله كروماً أو أشجاراً مشابهة لها ، فانه يستمر على أداء خراج المحاصيل إلى أن تحمل الأشجار ثماراً ومنذئذ يؤدى على الجريب منها عشر دراهم ، وإذا ما بلغت قيمة المحصول عشرين درهماً أو أكثر أو أقل من ذلك ، يؤدى نصف هذه القيمة بشرط أن لا تقل عما يعادل قفيزاً من الحنطة ودرهماً ، إذ أن هذا هو الحد الأدنى الذي يؤدى عليه جريب من الأرض القابلة للزراعة . « يتبع » فؤاد محمد شبل

نشرة في العدد السابق من المقتطف كلمة عن كتاب « الزمان الوجودي » تأليف الأستاذ عبد الرحمن بدوي ، ووعدنا القراء بنقل عبارات من هذا الكتاب تتقدم بها لحضرات الأساتذة الممتحنين أعضاء هيئة الامتحان الذي انتهى بفوز صاحب هذه الرسالة درجة في الفلسفة من جامعة فؤاد الأول ، لعلهم يستطيعون أن يفيدوا منها بعض ملاحظاتها ، فتستنير بها في نقد هذا الكتاب .

وقبل أن نمضي في نقل هذه العبارات نود أن أشير إلى أن حضرة المؤلف الفاضل لم يذكر المصطلحات الأعجمية المقابلة للمصطلحات العربية التي استعملها في الكتاب ، حتى يكون الناقد على بينة مما بين يديه من مصطلحات ينفي بعضها العموم مبدأ عظيماً . ولقد شك المؤلف عن هذه الناحية في كلمتي intuition و instinct فدل بهذا التشدد غير المقصود على أنه لم يدرك شيئاً من سر الاصطلاح الفلسفي ، فإذا قضينا بأية مصطلحات الكتاب على ما شك فيه بذكر أصله الأعجمي ، وضح لنا أن نقد الكتاب من المستحيلات وأن فيه أعقد من ذنب الضب .

ففي ص ٩٢ : « عيان بنافذ : intuition » . وفي ص ١٨١ : « هي ما يسميه بارجسون intuition أو الغريزة — من شأن الـ intuition أو الغريزة . . . فكأن ترجمة كلمة intuition مرة بلفظة « عيان » ومرة بلفظة « غريزة » ، . . . والغريزة instinct لا شك فيها ولا ريب ، وكلمة « عيان » بعيدة عن intuition بعد الثريا عن سهيل .

فإذا كان المؤلف قد جرى في كتابه على هذا التخليط في استعمال المصطلحات فإن الزمان وعلى الوجود السلام . أما إذا تفضل فزود « بالأصول الأعجمية التي تقابل مصطلحاته تنظر فيها من وجوه ما تحتمل من المعنى الفلسفي والمعنى اللغوي ، فإنه بذلك يخدم الأدب ويخدم نفسه أكبر خدمة .

وإلى الأساتذة أعضاء هيئة الامتحان نتقدم بالعبارات الآتية وقد تحفظت عليها كما تحفظ كثير غيرها ، لعلهم يزودوننا بما ينتج مقابلته ، ولا شك في أن لهم فيها رأياً ، وقد منحوا كاتبها درجة في الفلسفة .

ص ١٣٥ : لا وجود إلا بالزمان ، والزمان سر التناهي . فكل وجود لفناء . ولكن الفناء تحقق للإمكان . وكل تحقق بالفعل . والفعل هو الخالق . فالتناهي إذن خلاق .

ص ١٣٦ : إن التصور بالوجود لا يكون قوياً عن طريق الفكر المجرد . لأن الفكر المجرد انتزاع للفكر من تيار الوجود الحي ، وانعزال في مملكة أخرى تفقد منها الحياة بالضرورة الطاقة ، ولا يبرحها عمل وحركة ، بل صبغ خارجية عن الوجود لا تمس جوهره . إنما يبلغ التصور بالوجود أعلى درجة في حالة العقل الكامن الذي أشبه أطواره في الحياة الشعورية ، أي في حالة النزوع المكبوت الماطفة ، فهي حالة تقرب إذن إلى الإرادة والعاطفة ، أولى من انتسابها إلى العقل . الفكر . ولهذا يجب أن نشتدها في مقولات العاطفة والإرادة ، لعلها مكان مقولات العقل التي لم يعن الفلاسفة بغيره حتى الآن .

ص ١٨٢ : أفكار لتكوين ظاهريات خالصة وفلسفة ظاهريائية ؟؟؟ .

ص ١٨٤ : ومنطق الوجدان منطق التوتر . ولذا نرفض مبدأ عدم التناقض الذي يقوم عليه المنطق العقلي ، بالنسبة إلى الوجود الثاني ، لأن هذا المنطق العقلي لا ينطبق إلا على الوجود الفزيائي . ذلك أن العقل في بحثه الفزيائي يميل دائماً إلى نقد الزمان الطوبائي في كل مباشرة له .

ص ١٨٥ : أما المنطق الذي نقول به فلا يقوم على مبدأ عدم التناقض ، بل بالعكس : يحتفظ لكل حده وتوتره ، ولهذا فضلنا تسميته « منطق التوتر » . ونبدأ لهذا قائمة الثلاثة من كل ثلوث مقولات ، إلى وحدة التوتر ، هي الخيار الأصلي والمبدأ الرئيسي الذي يقوم عليه هذا المنطق الجديد .

انتهت بحوث الأرباب !!! .

وعلّم آدم الاسماء !

قرأت بمزيد الاهتمام ما كتبه الدكتور أحمد زكي بك في عددي يناير وفبراير الماضيين[1] عن اللغات التي تصلح والتي لا تصلح لتكون لغة التفاهم بين الشعوب . ولقد انتهى في بحثه الى الأخذ بأن اللغة الانكليزية هي اللغة الصالحة لذلك . ولكنه اعترض في نفس الوقت على أن هجاء هذه اللغة — أي الانكليزية — عسير . وأنا أقول إن هجاءها عسير جداً ويكاد يكون عقبة كأداء في سبيل قبولها لغة عالمية للتفاهم وأزيد على ما قاله الدكتور زكي بك ان النطق بها من أصعب الأمور ، فان لم تعاشر الانكليز ، صعب عليك اكتساب لهجتهم الصحيحة . وقد يختلف في بعض الأحيان أبناء هذه اللغة أنفسهم على نطق كلمات منها ، بل يكاد يكون من المستحيل اصلاح هجائها ، فقد عجز الأمير كان عن ذلك ، ولم يغيروا إلاّ في هجاء بعض كلمات لا أهمية لها ، فأبدلوا centre بـ center و through بـ thru ولكن ما السبيل الى اقناع أي مبتدىء في تعلم اللغة الانكليزية ان thought تنطق « ثوط » وان enough تنطق « إنَف » ؟؟؟

أذكر اني وجدت مع بعض الانكليز بمسرح في لندن حيث كان يمثل أحد الانكليز بلهجة أجنبية لقيامه بدور أجنبي . فما أشد ما دهشت عندما طلب مني أحد أصدقائي الانكليز أن أفسر له كلمات هذا الممثل الذي كان ينطق لغته بلهجة أجنبية ! فاللغة صعبة النطق كهذه لا تصلح قطعاً ان تكون لغة تفاهم وإن حكم أبناؤها البحار !

هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، فاني أوافق الدكتور زكي بك في اعتراضه على معظم اللغات التي ذكرها . فاللغة الفرنسية مثلاً ، التي أعد منذ قرنين تقريباً اللغة الرسمية بين الحكومات والملوك ، لن تكون لغة تفاهم إلاّ بين بعض الطبقات الخاصة من الأمم ، فهي بلا شك أصعب اللغات نحواً ، وأقل تبديل في موضع حرف يغير معنى الكلمة ، بل الجملة بأكملها ، هذا رغماً عما نعرفه في هذه اللغة من الدقة المتناهية في التعبير عن المعاني ، مما جعلها اللغة الوحيدة الصالحة للمعاهدات التي تكتب بحيث لا تقبل الالتباس . أما اللغات الأخرى

(١) من مجلة الهلال الشهرية.

كالروسية والألمانية ومجموعة اللغات الشمالية والاسكندنافية قد أظهر الدكتور زكي بك الأسباب التي تحول دون قبول احداها لغة عالمية

المطلوب اذاً لغة تستوفي الشروط الآتية :

(١) سهولة النحو (٢) النطق (٣) الهجاء (٤) الكتابة (٥) قابلية التطور

إني أرى ان اللغة التي تستوفي هذه الشروط هي اللغة التركية .

أولاً : من جهة النحو : تجد أن اللغة التركية قواعدها من أسهل ما يكون ، فلا استثناءات قطعيًا ولا مذكر ولا مؤنث ولا جماد . فبعد ان تقرأ عشرة الابواب أو الاثني عشر باباً من قواعد هذه اللغة ، لا يمكن أن تخطيء أو تشك بما قرأت ، فلا تغيير ولا تبديل في الكلمة ان كانت فاعلاً أو مفعولاً . أما الفعل فكون من مادة أصلية يزاد اليها أحرف اذا أردت ماضياً أو مضارعاً : مفرداً كان أو جمعاً . فعل أخذ يتكون من المادة الأصلية : آل بمعنى خذ فهو الماضي المفرد المخاطب يزاد عليها «دم» فتقول : «آلدم» اي أخذت والمضارع آلير» فتأخذ» وإذا قلت [illegible] كلمة «دير» للكلمة كان المعنى : أخذتُ أي جعلته يأخذ . فتجد أمامك دائماً المادة الأصلية باقية في ابتداء الكلمة يزاد اليها أحرف لتصريف الافعال .

ثانياً : الآن واللغة التركية تكتب بالحروف اللاتينية لا يمكن بأي حال من الأحوال ارتكاب اخطاء في النطق . خذ مثلاً كلمة « كورك » فان كتابتها بالأحرف العربية على هذا النمط ونطقها المتعدد كان موضع التباس مستديم ، فحسب قراءتها في الجملة ، تكون بمعنى قرو أو مجداف أو يمشوك . أما الآن فقد تكونت منها ثلاث كلمات مختلفة النطق تماماً . اذا نطقت Kurk فالمعنى قرو و Körek يمشوك و gevrek مجداف وامتنع بذلك الخلط في اللفظ والنطق

زد إلى ذلك أن كتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية قد قربها لأكثر اللغات الأوربية ، فضلاً عما كان بها من تقارب بينها وبين اللغات الشرقية . ففيها الآن ال ö الموجودة في كلمة hören الالمانية وال ü كما تنطق في كلمة Sur الفرنسية وال ç كما في كلمة much الانكليزية أو Nichevo الروسية كما لم تزل العين والقاف والخاء العربية لها أحرف لاتينية تقابلها أليست هذه من المؤهلات الجوهرية لجعل هذه اللغة متداولة بين الأمم ؟

ثالثاً : الهجاء في اللغة التركية بعد كتابتها بالأحرف اللاتينية أسهل هجاء من أية لغة على وجه البسيطة . فكل حرف يُنطق ، ولا وجود لحروف ساكنة كما في اللغة الفرنسية أو الانكليزية حتى انها فاقت اللغات الألمانية والايطالية في سهولة هجائها فيها كلمة Station

تُنطق «ستاسيون» في الفرنسية و«ستيشن» في الانكليزية ، وجب علينا أن نعرف ان هذه الكلمة مشتقة من كلمة Statio اللاتينية ، وعليه نكتبها بهذه الطريقة ، لعلمنا أن التاء موجودة في الأصل . اما في التركية فالك تكتب الآن كما تنطق وتنطق كما هو مكتوب أمامك ، فكتبت هذه الكلمة هكذا Stasion وإذا أردت بعد ذلك التبحُّر في أصول اللغة ، فلك التعمق ما شئت للوصول إلى أصلها وفصلها .

رابعاً : ظهر من التجارب أن الحروف اللاتينية هي أسهل حروف للكتابة . فان الألفاظ المصوَّرة في اللغة الصينية تحتاج إلى وقتٍ ومهارة في الرسم . والأحرف العربية زخرفية ومحوَّلة وغير واضحة ، واليونانية متعبة للنظر ، والألمانية يتعذر قراءتها الاَّ بمجهود ، حتى أن الألمان والروس واليابان واليونان قرروا منذ أمد غير بعيد الأخذ بالأحرف اللاتينية توفيراً للجهد والوقت .

خامساً : اللغة التركية الحديثة ، غير اللغة التركية القديمة ، فانها مجموعة متناسقة من الكلمات التركية القديمة زيد إليها بعض كلمات فارسية ، ثم أدخلت عليها كلمات عربية مع الدين الاسلامي ونظراً لما للشعب التركي من علاقة الجوار بأوربا ، فقد اقتبس كلمات يونانية قديمة وحديثة ، وأخذ ألفاظاً عن الصقالبة والجرمان والفرنجة أي ان هذه اللغة جمعت بين الأصل المغولي واللغات السامية والآرية والسلافية . فبعد كتابتها بالأحرف اللاتينية ، وثبت إلى الأمام وثبة هائلة . فعندما كان الأتراك يكتبون بالحروف العربية ، كانوا يترجمون الاصطلاحات العلمية الحديثة إلى العربية الفصحى ، ثم يدمجونها في لغتهم . اما الآن فقد أدخلت الاصطلاحات العلمية والطبية والهندسية والكيميائية ، كما هي في جميع لغات العالم المتمدين . واذا وقع نظرك على كتاب في الكيمياء باللغة الاسبانية مثلاً ، ثم على كتاب في الكيمياء باللغة الانكليزية ، ثم على ثالث في نفس المادة باللغة التركية ، وجدت درجة التشابه الشديد بين هذه الكتب . لقد صارت اذاً هذه اللغة قابلة للتطور ولا شيء يمنع العلماء في تركيا الآن من أخذ أي اصطلاح حديث على علاته أو إدخاله في اللغة كما يفعل الفرنسيون اذا ما اكتشف عالم روسي ميكروبا جديداً وأعطاه اسماً مشتقاً من اليونانية القديمة ، أو كما يفعل كيميائي من البرتغال اذا ما سمى كيميائي داشاركي مادة مكتشفة حديثاً باسم روعيت فيه الصفة العالمية .

هنا يحتمل ان يعترض أنصار الاسبرانتو أو اللغات التي تشابهها قائلين : لماذا اختيار لغة دون أخرى من اللغات الموجودة في العالم ولا تخلق لغة عالمية ؟ وجوابي على هذا أنه ما الداعي للبحث عن لغة جديدة لن يتم صقلها إلاَّ بعد مئات السنين ، وأمامنا لغة قد برهنت على سهولتها من جميع الوجوه ؟ !

حمى الحمام

نشرت مجلة جمعية الاطباء الاميركية مقالا عن حمى الحمام Ornithosis وأيدت ان المشاهدة قد دلت على ان مرض حمى الحمام في الانسان ، وهو مشابه لمرض البغاء Psittacosis ، يصيب الانسان بنسبة أكبر مما يقدر الاطباء ، وأن أكثر الحالات التي تشخص بأنها التهاب رئوي فيروسي هي في الحقيقة حمى الحمام ، وان البنسلين ينجع في علاج هذه الحمى .

ويقول دكتور « نورجاسن » ان التجارب قد دلت على ان عقار البنسلين قد دل على انه شاف شفاءً أكيداً من مرض الحمام بتجارب أجراها على الفئران . ويقول بأن مرض الحمام ومرض البغاء متشابهان في أعراضهما كل التشابه ، وربما كان اختلافهما منحصر في نوع الفيروس ومصدر العدوى .

وقد تكلم دكتور « نورجاسن » عن حالة رجل عمره ٤٣ سنة يربي الحمام في حظيرة الخشب خلف منزله ، فأصابه المرض وشفاه البنسلين .

قبل نشوب هذه الحرب بعشر سنوات ، هاجر مئات من الاساتذة الألمان وعلماء وعالم في الاستانة ، فما كان من أتاتورك بثاقب ذهنه ، إلا أن رأى ما يمكن جنيه من الفائدة ، إذا اكتسب ثقافة هؤلاء العلماء لشعبه . فاختار منهم الأفذاذ ، أي ما يربو على الأربعين عالماً . وطلب منهم الالتحاق بالجامعات التركية وأغراهم بالمال على أن يدرّسوا باللغة التركية ، وترك لهم الوقت الكافي لدراسة اللغة ، دون تحديد المدة اللازمة لتعلمها وبأجر كامل ، ابتداءً من قبولهم الالتحاق بالجامعات المذكورة . وهنا نرى العجب العجاب : فانه نظراً لسهولة هذه اللغة نحواً وصرفاً ونطقاً وكتابةً وعجاءً ، تسنى للأغلبية الساحقة من هؤلاء العلماء القاء محاضرات على تلاميذهم باللغة التركية بعد انقضاء ثلاثة شهور

أظن أن الدكتور زكي بك يوافقني تمام الموافقة ، اذا استنتجنا مما ذكرناه ، أن هذه اللغة هي اللغة الوحيدة الصالحة لان تكون لغة عالمية للتفاهم ، وبعبارة أوضح اللغة الثانية لجميع الشعوب .

دكتور : توفيق صادق سليط

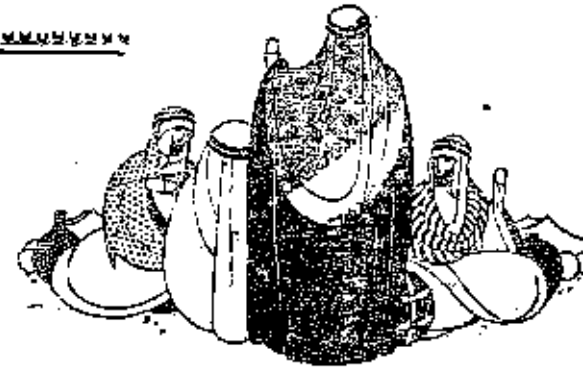

الاتحاد القومي

داؤه وأدواؤه (١)

— ٣ —

يلبغي في هذه الناحية أن أعرض لشبهة اجتماعية خداعة قد تحوم في أذهان بعض الناس فتشتبه مخالبها في أذهان آخرين . تلك الشبهة هي الخلط بين حق الجماعة في كيانها المعنوي ، وحق كل فرد من أفرادها في حياته الخصوصية . ان حق الجماعة المعنوي لا يجوز مريانه الى كل فرد من أفرادها . فاذا قلنا إن لهذه الطائفة الكبيرة حق التفرق في أحيائها تلك الطائفة الصغيرة في مظاهر وأمور رسمية وشبه رسمية ، فلا يستنتج من ذلك أن أي فرد كان من الاولى ، يجب أن يذوق على أي فرد كان من الثانية . وبعبارة أبسط وأوضح ، نقول إن الطائفة الاسلامية الكبيرة حق التفرق والامتياز . ولكن ليس معنى ذلك أن كل فرد من أفرادها يجب أن يدعي لنفسه أو يدعي له غيره حق التقدم على كل فرد آخر من كل طائفة أخرى . وصواب هذه النظرية قريب من البديهيات ، إذا تأملنا منه قليلاً . فمن منا نحن اللاذقيين مثلاً ترضى نفسه ويقتنع وجدانه بوجوب تقديم أي دمشقي كان أو أي حلبي أو أي بيروتي على أي لاذقي كان بحجة أن دمشق أو حلب أو بيروت هي أعظم وأهم وأعمر من مدينتنا اللاذقية . هيهات هيهات ! فان ابن هذه المدينة لم تتدغم في شخصه مدينته . كما أن ابن تلك الطائفة لم تتدغم في شخصه طائفته .

ومما يعوز أبناء الوطن في أثناء تعاملهم وتعاشرهم ، أن يتحمل بعضهم بعضاً في كثير من الهفوات والزلات غير الصادرة عن روية وسبق إصرار ، فان في أدبنا العربي ما يحثنا على النهج القويم حتى قال عنترة العبسي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وقال شاعر آخر جاهلي عرف بالفضل والحكمة مع جمال الوجه وسمه المقنع الكندي :

وإن الذي بيني وبين بني ابي وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هم هووا غيّي هويت لهم رشدا

---

(١) نشر البحث الناقل بمقتطف شهري مارس وماير ١٩٤٥

وإن زجروا طيراً بنحس تمرّ بي زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى فإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم فليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وقال غيره وأظنه الوزير المهلبي:

تناس ذنوب قومك إن ذكر الذنوب اذا قدُمْنَ من الذنوب

وارتقى الى درجة أعلى في مكارم الأخلاق من قال:

إذا بدرت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا

ومن ذلك النهج الشريف، التجاهل والتغافل في كل مقام يقتضيهما. وأول من أشار إلى ذلك في ما طالعناه ورويناه مؤسس الدولة الأموية معاوية بن ابي سفيان حيث قال: «حكام تتخادع للناس وهم يظنون انهم يخدعوننا؟»

أخذ هذا المعنى بعضهم فقال:

ليس الغبيّ بسيدٍ في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي

وقد فصل مجمله وجلا رونقه الشاعر أبو شراعة بقوله:

وإذا الكريم أتيته بخديعةٍ ورأيته في ما تروم يداريُ
فاعلم بانك لست تخدع عاقلاً لكنه من فضله يتخادع

ونظر فيه الأمير أبو فراس الحمداني، وكان في ساعة غضب واشمئزاز مما ناله من إجحاف وسوء معاملة فقال: مبرهناً على انه وهو في معظم طور الشبيبة ممن يتأنون ويصبرون ويكظمون الغيظ:

تغاببتُ عن قومي فظنوا غباوتي بفرق أغبانا حصى وترابُ
ولو عرفوني مثل معرفتي بهم إذن علموا أني شهدت وغابوا

وبناءً على ما تقدم منا ذكره، يحتاج الوطن الى تأسيس جمعية وطنية في كل مدينة من مدنه، لكي تسعى بهذه الهادية، فيقتدي بها أهل المدينة وملحقاتها، وعلى وجه خاص لكي تسعى بالوسائل الفعالة الى مكافحة العوائق الأربعة التي أشرنا إليها: مكافحة النعرات الطائفية، ومكافحة عادات التقشف والتقهقر في عاداتنا المعاشية، ومكافحة مساعي من لا يروقهم هذا الأخاء العام وهذا الاتفاق التام، ومكافحة من يظهرون، بغير ضرورة ولا مسوّغ واضح ضعف ثقة بالسلطة الوطنية وبروحة الحواس من أبناء الوطن. وينبغي أن يكون بين جمعياتنا الوطنية التي تؤسس لأجل هذه الأغراض تراابط وتفاهم وتعاون وثيق، تعنى بتبادل الرسائل

وزيارات الوفود لأجل توحيد الكلمة وتوحيد المسعى ولا بد أن يكون لهذه الجمعيات مركز رئيسي في دمشق أو مركزان رئيسيان متحالفان في دمشق وبيروت، حسبما يستقر رأي أبناء بلادنا بهذا الشأن.

وقبل الخروج من البحث الحاضر يطيب لي أن أحرز الموضوع بشيء من الشعر وهو جزء من قصيدة لي وطنية اقتضاها المقام يوم القائها. والخطاب فيها مصوب على وجه خاص الى أعيان الوطنيين وعقلائهم:

عليكم سادتي بني الرجاء ... فلم لا يستقيم لنا البناء
إذا عقلاؤنا خذلوا حماهم ... فدنيانا وما كنها هباء
وما تجدي الرجال ولا عقول ... وما تجدي العقول ولا الرؤى
أتعجبك الخطوب وليس روض ... أتعجبك الرياض وليس ماء
فياعقلاؤنا عطفاً علينا ... إذا ما خان حسحاننا الذكاء
ومزروع الرداد لكم ومنكم ... وفيكم ثمر يعزز اقتناء
ألا فتعاهدوه بكل حزن ... تحالفه الغيرة والولاء
ولا تدعو المجال به لياس ... فداء اليأس ليس له دواء
إذا مشروعنا قصد اتحاد ... تعزز فانقضاض لكم جزاء
وما أنتم إذا أبدى قصوراً ... من العمار المتم أبرياء
أراض مني الديار ومشتهاها ... تجافيه بنيكرون الآباء
ونطمع أن نعد رجال حزم ... فكيف إذن يكون الأغبياء
معاذ الله، ذلك لن نراه ... وفيكم نحوه يزكو مضاء

هذه حقائق راهنة تحتنا بصوت عالٍ مهيب ملؤه الصواب والحكمة والاخلاص أن نجتمع كلنا كتلة قومية واحدة على اختلاف أديانا ومذاهبنا، لنتقي مواضع الأذية والخطر والعار. كذلكم أمنيتنا الذهبية التي نتلمسها، وكذلكم مثلنا الأعلى الذي نسعى إليه ولنا أمل وطيد بالحصول عليه ولو بالتدريج، ولكنه تدريج مطرد سريع الخطى بفضل وجود عقلاء محنكين بين أظهرنا وبفضل ما الطوت عليه الشريعة الاسلامية من جرثومة الخير والمرونة وروح التسامح مماشاةً للاحوال الطارئة، ومراعاةً لكل مكان وكل زمان. ومن ثم لقبت بحق الشريعة السمحاء حتى قالوا: «ان الدين لا يكون الا هيناً ليناً» وحتى ورد في الأحاديث النبوية الشريفة: «ان الله لا أرضاً تظهر ولا فتوراً تبقى» والمراد بالمنبت المنقطع عن رفاقه في السفر. والمراد بالظهر ظهر دابته. فحديث يشير بهذا التشبيه الجميل

من حكم التأمل

سمع الفيلسوف النظري يقول لابنه : يا ابني ، ساعد نفسك على شوقها الى الكمال . ولا كمال في المادة . انما الكمال في تصفية النفس الناطقة ، وتجريدها من الالتفاف في شهوات هذا العالم السفلي ، الذي مصيره للفساد . صل ربك ، يعنك على تطهير نفسك من أرجاس الشهوات . واعلم انك ما عشت لتأكل ، بل نحن لا نأكل إلا لنعيش . فاقتصد في طلب الرزق . وصنك منه الكفاف ، واسرف في تهذيب نفسك ، ان صح ان في الشر سرف . وض نفسك على الخير بحسابها على كل ما تعمل حساباً عسيراً . وساعد عاطفة حب الجمال والكمال في قلبك على تعطيل الشهوات البهيمية . ان لنفسك عليك حقاً في مساعدتها على أن لا تنزل كثيراً عن المستوى العالي الذي نزلت منه الى جسدك الفاني ، ولتناضل عليك حتى ارشادهم الى الغاية التي خلقوا لها ، وهي الوصول الى الكمال اللائق بهذا الانسان الذي كرمه الله وشرفه على جميع مخلوقاته . ولا تجزع لطارقة تنزل بك ، بل اني لاعجب لامرىء ينتظر من عالم الفساد غير المحن التي يمتحن الله بها عباده الصابرين . ولا تترك فرصة الموت تأتيك في الدقائق من مظلوم أو القيام بحماية وطنك الا انتهزتها . وعش فيها كأس الموت ساغة . فان الموت خير الصالح يشربها نفسه من عالم الشرور والمحنة الى نجم مقيم . ذلك هو الكمال الذي تبغيه بني ولم اخلقك الا لهذا . ولا شك عندنا في أن النتيجة اللازمة ، ثابتة في الصحة والفساد لمقدماتها الضرورية . فالنفس التي أحسنت عملا ترجع الى عالمها القدسي ، فريدة العين مما تلقى من النعيم . أما من ساءت استعمال قدرتها ونسيت الرجعى الى عالمها — أعيذك بالعقل الاول — لا تصيب بهذا الانتقال الا عذاباً أليماً .

احمد لطفي السيد باشا

نقلا عن الجزء الثاني من « المنتخبات » هدية المقتطف الفضلة

في قالب الاستعارة التمثيلية ، اشارة بليغة الى سوء المصير الذي ينتظر كل امرىء متقلب يبتعد في سلوكه عن خطة العدل والاعتدال .

هذا جل ما استصوبت الادلاء به أمامكم مدفوعاً بعامل الاخاء الوطني والغيرة القومية ، وقد اخترت صراحة اللهجة مع المحافظة على شرط اللياقة والتأدب مخترقاً الموضوع في صلبه وذواياه غير مكتفٍ بالطواف حواليه كما يفعل الاكثرون . ولعلَّ ما أدليت به كافٍ لتذكير الناسي وتنبيه الغافل . والله في عون العبد ، ما دام العبد في عون أخيه .

اللاذقية

الدوار صرقص

عضو المجمع العلمي في سورية

المساء

الدجى في صفحة الأفق لواه ... وعلى الأرض من الليل رداه
يستر الكون في ثوب الدجى ... كدفين الشوق يخفيه الإباء
أو كداجي الحقد في صدر التقى ... جاثماً يطويه خبٌّ ورياء
والدجى في الأفق مغض ساكتٌ ... كحليف الداء أضناه العياء
كم معانٍ للدجى في صمته ... ومن الصمت بيان وأداء
لبت شعري كيف يأتي صامت ... بالذي قصر عنه الشعراء

***

تحسب الجوزاء روضاً ممرعاً ... شرعت أيكته ريحٌ وُطاء
يلهي الأنـ ... س برح الجوى ... تسرعاً ساعيه ونشوا عداه
ذكرتني من لوعة الوجد على ... كبد قرّح جنبيها البكاء
أو بكاء العذراء ماست خفراً ... وبعينيها اتّكارٌ ووجاء
ولنأي النجم من رَيّقه ... جدة المصباح يذكيه الضياء
وكأنّ النهر في زرقته ... ساطع الفجر إذا شاء ذكاء

***

وحواشي الليل أفواف، لها ... في سَدَى الأفق نشرٌ وانطواء
فهي حيناً علمٌ منتصبٌ ... وعلى الغبراء درعٌ وغطاء
وهي حيناً لمعنٌ برّقع ... هانه الدهر وللعاري كساء

***

نام من في الكون إلاّ موجعاً ... شانه السهد وأصماه البلاء
كلما عاوده من أمسه ... لاعج الوجد ترا في الصدر داء
يطبق الجفن على أحلامه ... مستميداً ذكر من نال القضاء
فيضاء النار توري صدره ... ومن الذكرى شجون وشناء
والدجى في الأفق مغضٍ ساكتٌ ... كحليف الداء أضناه العياء

دمشق — عبد الله مردم بك

نشأة سياسة مصر

على البحار

في بلد كمصر ، يخترقه نهر عظيم ، ساخ للملاحة طول أيام السنة ، لا ينفك يجري من أقصى الوادي الى أقصاه ، ولا يتسع عرض ضفافه الأهولة في مواضع كثيرة إلاّ إلى مسافات قريبة ، كان حتماً مقضيّاً أن تكون الملاحة النهرية فيه قائمة منذ فجر التاريخ وان تبقى عماد المواصلات عند الأهلين على مرّ السنين .

وكان حين نظر المصريون الأقدمون الى ما تنتجه أرض مصر لم يجدوا خيراً من قصب الغاب والبردي ، يصنعان لأن يتخذ منهما [illegible] ... تعاونوا في تسميته بالمراكب النهرية أو البحرية ، فكانوا إذا صنعوا هذه القوارب بعضها الى بعض ، استوت شيئاً أشبه ما يكون بعبرة فضل ، يقطعون بها النهر طولاً وعرضاً على نحو ما يفعل اليوم بعض سكان أعالي النيل . وإذ كانت هذه المادة عرضة للعطب السريع لضعف مادة بنائها ، فقد ساعد ذلك على ازدياد في نموّ صناعتها ، مما ساعد على اضطراد التجديد والتحسين فيها . وهكذا تطوّرت هذه الصناعة من « شد » معابر فضل ، الى بناء سفن نهرية . وكان قدماء المصريين قد اكتسبوا خبرة ثمينة في فن الملاحة النهرية قبل أن تتاح لهم فرصة ليستبدلوا أعواد قصب الغاب والبردي ، بأنواع من الخشب في بناء السفن . وهدتهم تجاربهم الى الاحتفاظ بطابع خاص لسفنهم التي كانوا يبنونها ، ووفقوا آخر الأمر الى إيجاد نموذج يردون اليه كل سفينة أيّة كانت ، فتفي بكل غرض وتتسع لكل حجم وتلائم كل مطلب . وقد أجادوا بناء كل أنواع السفن ، حتى بلغت المراكب التي تجري من أسباب الرفاهية والترف أدقها وأبلغها . صنعوها وأجادوا صنعها . جرى ذلك في مصر قبل اليوم بأربعة آلاف سنة أو يزيد .

وكانت قد فضت ظروف الحال على أهل مصر بأن يتعهدوا بالعناية بهذه المرافق النهرية فولوها عنايتهم حتى ازدهرت وأينعت . إلاّ أن شدة العناية بها وبتعهدها وازدهارها أعاق تقدم الملاحة البحرية . ويرجع سبب مبالغتهم في العناية بأمر الملاحة النهرية الى عوامل شتى ، من بينها السياسة الخارجية التي اتبعها ملوك الفراعنة الأول . غير ان طبيعة البلاد ما كانت

لتجهيز تقييد الملاحة البحرية بحال . فالبحر يحتفن مصر من الشمال كما يحتضنها من الشرق وقد أدرك عبقرية ذلك الموقف أهل مصر ، فارتحلوا لأنفسهم سياسة جديدة في الملاحة ، وكان ذلك عام ٣٠٠٠ قبل ميلاد المسيح ، حين وجدوا أن النيل يكاد يكتنف بكثرة السفائن التي تسير فيه ، وانه صار لمصر حضارة نهرية غاية في القوة واليأس . وليس أدل على مبلغ تكاثر السفائن في مصر من كلمة وردت ضمن خطاب رفعه أوري شمر بدانو الأجل ، إلى القضاة الاثنين والاربعين الذين يتولون محاكمته في الآخرة ، هذا بعض نصه :

« . . . . وقد أطعمت خبزاً للجائع وماء للعطشان وثياباً للعاري وزورقاً لمن ليس له مركب . . . » وإذ كان تكاثر السفائن قد بلغ حد التصدق بها ، فلا عجب أن يضيق بها النيل ، ولن يعمل المصريون ليعبروا بحار الأمم المجاورة . وكان كل شيء في مصر قد مهد لأهلها السبل على عباب البحار . فكانت الحياة في هذا البلد كما هي اليوم قائمة كلها [illegible] وكان كل شيء في مصر [illegible]

وكان المركب النهري يأتي في المرتبة الأولى من بين وسائل المواصلات ، رغم ذلك لأن كل مصري كان منذ الصغر أليف النيل ، أليف الملاحة . ومع هذا فما كان النيل بالنهر الوديع الهادئ على مدار أيام السنة . فله في بعض الأحايين ثورات حادة وغضبات مخيفة ، وبه أماكن شديدة الخطورة . وهكذا كانت الملاحة في النيل بمثابة مدرسة تعلم فيها المصريون كيف يكافحون الرياح والامواج ، وكيف يتقون مواضع الخطر . فلم يلقوا حين خرجوا إلى [illegible] الملاحين المصريين .

وإذ خفي علينا الزمن الذي بدأ فيه المصريون يرسلون عمارتهم البحرية إلى فينيقية ، كما خفي علينا موعد وصول أول سفينة مصرية الى تلك الشواطىء السورية ، فمن الثابت أن مصر كانت تستورد في العصور الخوالي قدوراً فينيقية ملأى بزيت الأرز اللبناني . وقد وجد بعض هذه القدور في « عبيدوس » Abydos ضمن ما حوته مقابر ملوك الأسرة المصرية الأولى ، التي حكمت في القرن الثلاثين قبل ميلاد المسيح . وهذه القدور هي بعض ما جلبته الحملة المصرية التي بعث بها الملك « ساهور » Sahure إلى فينيقية . ومما من شك في أن استيراد البضائع من بلاد الفينيقيين كان يجري قبل ذلك التاريخ . ذلك لأن زيت الأرز رغم استحالة الحصول عليه إلا من خارج البلاد المصرية ، فقد كان مدرجاً ضمن أقدم قائمة عرفت ، حوت أسماء القرابين التي كان يتقرب بها المصريون إلى أربابهم . وإذاً فقد كانت السفن البحرية تجري بين أرض النيل وبلاد الفينيقيين ، حاملة البضائع والركاب بين القطرين

منذ أقدم العصور . ومما لا ريب فيه أن هذه السفن كانت من صنع مصر ، يديرها ملاحون مصريون ، وتحمل الجنسية المصرية . ذلك لأن الفينيقيين لم يكن لهم ذكر في التاريخ حتى القرن العاشر قبل ميلاد المسيح . ويرى أشد المؤرخين تحيزاً لفينيقية بأن الفينيقيين كانوا حتى القرن الحادي والعشرين قبل ميلاد المسيح على حظٍّ من الثقافة والرقي أقل من القليل ، ولم تكن الظروف قد تهيأت لهم بعد لأن يخطو الخطوة الأولى نحو مدنيتهم ، التي جاءت بعد ذلك بعدة قرون . وكان مصر جابت البحار قبل أن تصحو فينيقية بنحو عشرة آلاف سنة على الأقل . وفي ذكر هذه الحقائق وحدها ، ما يكفي لانهيار دعوى بعض المغرضين القائلين بأن مصر ، منذ أقدم عصورها ، كانت تعتمد على الفينيقيين في الملاحة . وإذاً فلا شك في أن مصر كانت تصدّر إلى فينيقية على سفن مصرية ، يديرها ملاحون مصريون ، بضائع مما جادت به أيدي صناعها المهرة ، وكانت تستورد منها كل ما يمكن الحصول عليه من مواد خام وأخصها الأخشاب . فقد كانت بلادهم غنية بالغابات ، في حين لا يماثلها فيه إلاّ البلاد الشمالية من القارة الأوربية في عصرنا الحاضر .

ولعلّ أقدم وثيقة وصلت إلينا تحدثنا عن سير السفن المصرية إلى بلاد فينيقية ما أظهرته النقوش المصرية التي ترجع إلى القرن التاسع والعشرين قبل ميلاد المسيح ، والتي جاء فيها انه قامت لعهد الملك « سنفرو » Snofru أو ما بين عام ٢٨٤٠ و ٢٨١٦ قبل ميلاد المسيح حملة بحرية فاقت كل ما قبلها ، مكوّنة من أربعين سفينة مصرية ، حُمّلت في مياه فينيقية بأخشاب الأرز ، فوصلت سالمة إلى المياه المصرية .

وما إن انقضت مائة وخمسون سنة على ذلك التاريخ حتى أخذ المصريون في رسم سفنهم نقشاً على قبور ملوكهم . وذلك لأول مرة في تاريخهم ، بل ولعلها كذلك في تاريخ العالم ، وفي هذا دليل قوي واضح على ما كان للملاحة من منزلة في نفوس المصريين . والناظر إلى مقبرة « ساهورع » التي حكمين عام ٢٦٧٣ وعام ٢٦٦١ قبل ميلاد المسيح يبهره حتماً جمال السفينة المنقوشة على تلك المقبرة . تلك السفينة التي يقول عنها رجال البحر في عصرنا هذا : « أنها سفينة بحرية لا شك في ذلك . وان المصريين اكتسبوا الثقة قبل بنائها بمدة سنوات ، خبرة فائقة في فن الملاحة البحرية ، وعرفوا ما تتطلبه هذه الملاحة من مستلزمات في السفينة فأقاموها » .

وهكذا ما كاد القرن العشرين قبل ميلاد المسيح يستهل ، حتى كانت سفائن مصر تمخر عباب البحر المتوسط وتجوب أرجاءه وتتبادل مع بلاده البضائع على نحو ما كانت تفعل مع بلاد الفينيقيين . إلاّ أن سير السفائن المصرية بين مصر وجزيرة قبرص جرى قبل

ذلك التاريخ بأمد طويل، وذلك حين وجد المصريون معدن النحاس موفوراً في شبه الجزيرة وكانت صناعة النحاس في مصر قائمة منذ أقدم العصور . وكان كل اعتماد مصر في هذه الصناعة على مناجم النحاس في شبه جزيرة سينا ، التي استغلها المصريون منذ نحو ٣٠٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح . فلما عثروا على النحاس في قبرص رحبت به الصناعة المصرية . وليس أدل على ذلك من تعدد خطابات ملك « الاسيا قبرص » إلى الملك « أمينوفيس الرابع » Amenophis تلك الخطابات التي وجدت في خزائن دار المحفوظات بمدينة العمارنة التي تشير الى مقادير النحاس التي استوردتها مصر من الجزيرة . أما البضائع المصرية فكان التجار ينقلونها الى قبرص ، فيتهافت أهلها على اقتنائها . كذلك كان يفد على مصر من حين لآخر تجار وسوّاح من الاسيا .

واذا كان هذا مبلغ رواج الملاحة بين مصر وقبرص ، فقد كانت الملاحة بين مصر وجزيرة كريت أنشط وأقوى . وما كانت المصنوعات المصرية لتعم هذه الجزيرة حسب ، بل كانت منتشرة عن طريقها في بقية جزر بحر ايجة . وقديماً استورد المصريون من كريت وعن طريقها ما وجدوه من مواد أولية في الجزر اليونانية ، ومن بينها الاحجار الثمينة التي اشتهرت بها جزائر أوڤلي ويكفي دليلاً على قدم نشاط الملاحة المصرية في منطقة الجزر اليونانية ، القول بأن الاحجار الثمينة التي وجدت في مقابر الأسرة المصرية الأولى، مصدرها الأوحد جزائر أوڤلي هذه . غير ان العلاقات التجارية ، وبالتالي الملاحة البحرية بين مصر وكريت، لم تزدهر إلا في عصر الأسرة الثامنة عشر فاو حوالي سنة ١٥٠٠ قبل ميلاد المسيح.

هذا وكان قد طرأ على بناء السفن في بدء عهد الأسرة السادسة المصرية بعض التعديل . ثم أخذ بهذا التعديل شيئاً فشيئاً الى ان عمّ كافة السفن النهرية ، كما عمّ السفن البحرية . ولعلّ أوثق مصدر يمكن الرجوع اليه في شأن نماذج السفن البحرية وكيفية استخدامها خلال القرن الثالث عشر قبل ميلاد المسيح ، ما نجده من رسوم في الدير البحري تصوّر لنا العمارة البحرية التي بعثت بها الملكة « حَتَشَبْسوت » Hatshepsut الى بلاط « بنـط » Punt على الساحل الصومالي . وقد لا يهمنا تفاصيل ما أجري على السفن في مصر من تعديل في بنائها . فالملاحون والاختصاصيون به أولى . ولكن قد يلفت نظرنا شيء واحد ، وهو ان السفينة المصرية في ذلك العهد كانت تحوي عدة أشرعة بأحجام مختلفة ، يستخدم كل منها حسب قوة الريح واتجاه سير السفينة . وما كانت السفن الشراعية التي استخدمت في البحر الأبيض المتوسط بعد ذلك خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر بعد ميلاد المسيح ، إلا شبيهة بالسفن المصرية شبهاً وثيقاً . بل ولا زالت هذه النماذج من السفن هي المفضلة على غيرها عند الملاحين اليونانيين في البحر المتوسط وعند العرب في البحر الأحمر .

وكان من الطبيعي أن تجوب سفائن مصر البحر المتوسط قبل ان ترتاد مياه البحر الأحمر . وذلك لأسباب أهمها أن سكان مصر يعيشون في كنف النيل وعلى ضفافه ، والنيل ينتهي الى البحر المتوسط . وان المناطق الآهلة بالسكان بعيدة عن البحر الأحمر الذي يفصله عن وادي النيل صحراء محرقة . ورغم هذا كله فقد ارتاد الملاحون المصريون البحر الأحمر منذ أقدم الأزمنة . والثابت أنهم خرجوا من ضفاف النيل قرب مدينة قفط Koptos الى البحر الأحمر ليبتنوا على شواطئه سفناً . وكان يحتم هذا عليهم أن ينقلوا من قفط ، كل ما يحتاجون اليه من مواد لبناء السفن ، وكذلك الماء والغذاء لكل الذين يعملون في هذه الصناعة . ولكي نقدّر عملهم هذا حق قدره ، يجب ألاّ نغفل ذكر أن أقرب مسافة بين النيل والبحر الأحمر ، أو ما بين قفط والقصير هي مسير أربعة أيام ، وان السبيل إليها غير مطروق . وقد أحرقته الغصص وأوحشته الصحراء التي لا ماء فيها البتة . وعند ما يصل الانسان الى البحر يجد الماء والبحر قفراً كالصحراء . وكانوا يحملون على الابل إلى البحر على ذهابهم الخمير وغيرها من الانعام وعلى أكتاف الآدميين ، كل المواد والأدوات اللازمة لبناء المراكب ، وكذلك الماء والغذاء واللباس وحاجة المساكين التي احتاج اليها من يعملون في بناء السفن ، ثم ما يكفي من ذلك كله للرحلة البحرية ، فضلاً عن السلع التي كانت تحملها هذه السفن الى البلاد الخارجية . وقد يبدو لنا ونحن نعيش في عصر السرعة ان ذلك لا يتم إلاّ في شهور ولكن « أوني » Uni يذكر لنا أن المصريين انجزوا مركباً بحرياً كبيراً في سبعة عشر يوماً فقط .

وإذا كانت الملاحة في البحر الأحمر اليوم ، رغم استخدامنا كل الوسائل العلمية الحديثة ، من كتب موضوعة في فن الملاحة البحرية ومن خرائط مفصلة وارشادات جمة ، لا زالت محفوفة بالمخاطر والصعوبات ، فأحرى بها ان تكون كذلك في قديم العصور . ذلك بأن جو البحر الأحمر حار شديد الحرارة الى الحد الذي لا يطاق ، ثم هو مشبع بالرطوبة ليل نهار . وزيادة على ذلك فالشعاب الكثيفة تمتد على جانبيه مسافات طويلة وتنتشر في نحو ثلث مساحته ، وكذلك المرجان الجاثم في قاعه يرتفع الى نحو متر ونصف قبيل مستوى سطح الماء . ورغم ذلك فقد كانت الملاحة بين مصر وبلاد « پُنْط » منتظمة السير مما يدل على أن الملاحة البحرية عند المصريين الأقدمين بلغت أوجها . وتدل الحملة الكبيرة التي قامت بها العمارة البحرية في عهد الملك « ساهور » والتي جلبت كميات وفيرة من المنتجات الاصنوائية ، على صدق ذلك . وأقوى دليل على هذا تلك النقوش التي نراها على مقبرة « كْنِمْحُتِپ » Knemhotep والتي تشير إلى أن سير الملاحة الى پُنْط كان قائماً ومنظماً

وان عدد السفن الذاهبة إليها والراجعة منها كان كبيراً . ولم يكن « كُنيشحُتب » هذا إلا رفيقاً لسيده ، أحد أمراء البحر الذي قاد سفنه الى بنط إحدى عشرة مرة . ولم تكن قيادة السفن بالأمر الهين إذ ذاك ؛ فقد كان المصريون يضنون كل الضنانة بدراسة الملاحة علميًا وعمليًا ليخرجوا ملاحين تفقهوا في دراسة اليابس والماء ، على حدّ تعبيرهم.

وكانت أن بقيت صلة مصر ببلاد بنط لا تنقطع حتى نهاية الأسرة الثانية عشر . ثم تراخت تلك الصلة لمدة غير قصيرة . فلما ان جاءت الملكة « حَتْشَبْسوت » أمرت بارسال حملة بحرية إلى بُنط قوامها خمس مراكب . ومن رسوم على معبد الدير البحري نرى كيف كان أهل مصر يقدمون القربان لهاتور Hator لكي ترسل الرياح طائعة . وفي صورة أخرى نرى هذه السفن ثابية قريبة من شاطىء تلك البلاد الثانية وهي تفحص ما حملت عليه من بضائع . وفي صورة ثالثة نرى هذه السفن نفسها وقد أتمت رحلة موفقة تسير بأقصى سرعتها نحو طيبة وهي نهاية الرحلة . ومن الغريب أن المصريين الأقدمين لم يذكروا لنا شيئًا عن مشاق هذه الرحلة أو أخطارها ، وهم الذين نضع في كثير من آدابهم ، وأملوا أخطار ومشاق السفن في البحر لكثرتها ، ساءت من عاديات الأمور عندهم ، فأفضلوا ذكرها . كذلك لم نعرف أية طريق سلكته هذه الحملة البحرية . هل انتهت الى ميناء على البحر الأحمر كما كان متبعاً من قبل ثم نقلت السفن وما حملت بطريق البر الى قفط ، ثم سارت في النيل الى طيبة ؟ أم قد كان لدلتا النيل قناة تصل بين الفرع الأيمن النيل وخليج [illegible] مواصلة السير الى طيبة ؟ من الثابت أن « [illegible] » [illegible] لسنا نعرفه لأنه لم يعرف [illegible] في [illegible] لشبسوت » ان ان الرمال التي لا تنفك الريح تحملها في مواسم معينة من [illegible] البحر فيها فردت بفعل الزمن . هذا ما لم يقطع فيه برأي الى اليوم . أما في عهد « رمسيس الثالث » فقد كان الملاحون حين يرجعون من « بنط » ينتهون الى القصير على البحر الأحمر ، ثم يسيرون براً إلى قفط .

وفي عهد الملكة « حَتْشَبْسوت » ومصر الملك « تحوتمس » الثالث Thutmosis أي منذ عام ١٥٠١ حتى عام ١٤٤٧ قبل ميلاد المسيح ، بلغت الملاحة البحرية في مصر أوجها مرة أخرى ، واتسعت وتعددت رحلاتها . ولكن منذ بدء انحطاط الصناعة وما تلاها من كساد التجارة ، أخذت الملاحة البحرية تتقلص شيئًا فشيئًا ، ثم بدأ سقوط الدولة المصرية . وكان أن تسربت الصناعة والتجارة والملاحة البحرية من أيدي المصريين الى غيرهم من الأجانب . ثم ما كان القرن العاشر قبل ميلاد المسيح ليبتدىء ، حتى اختفى الأسطول التجاري

قطع العصب لتسكين الالم

ان قطع بعض الاعصاب الحسيّة الطرفية التي تحتكّ في بعض الانسجة المتصلة بأطراف تؤثر فيها هذه الاعصاب، علاج من أنجع العلاجات التي تقف بعض الآلام العصبية العويصة . Causalgia وهي من أشد الآلام التي يشعر معها المصاب ان بأعصابه احتراقاً مؤلماً شديداً . وقد نشر ذلك في صحيفة الجمعية الطبية الاميركية ، طبيبان من جراحي الجيش . فقد ذكر الكابتن جوشوا سيجل والكابتن جك ميلونكي ، ان هذا الالم العصبي قد يحدث عقيب جراح تصيب بعض الجنود . فأجروا لستة جنود عملية قطع العصب العصبي الذي المتصل بالجزء المتألم ، فزال الالم . اما السبب الذي يحدث هذا الالم فليس معروفاً معرفة تحقيق .

المصري من البحار . وفي أسطورة مصرية قديمة وصف لهذه المأساة مريع . ومن ثمّ انتقل زمام البحر الى الفينيقيين . ولكن لم ينم أهل مصر على ذلك ، بل حاولوا السيطرة على البحار مرة أخرى ، وقطعوا في ذلك خطوات موفقة قبيل ميلاد المسيح . إلاّ أن عوامل مختلفة أحبطت أعمالهم . وليس هذا مقام الاسترسال في بحث ذلك ، ولا من أجله كتب هذا المقال ، وانما أردت أن أبين ما طبع عليه اهل مصر من حبهم البحار ، وما كان لهم من شأن في الملاحة البحرية ، وكيف تمت لهم سيادة البحار ، وإذا ذكرت هذا كله ، الملكي نؤمن بأن بدايتنا الجديدة في الملاحة البحرية قد تقودنا الى سيادة البحار مرة أخرى . لو اننا استطعنا بماضي تاريخنا ، وسرنا بنفس الحزم وفي نفس الطريق الذي جعل من المصريين سادة للبحار .

ابراهيم ابراهيم يوسف

المراجع

I — A. Koester ; Seefahrten der atten Aegypter

II — Ermann; Geschichte der Alterhum, Aegypter

III — Brestead; History of old Egypt.

IV— Eduard Meyer; Egyptische Geschich

V — عبد القادر حمزة : على هامش التاريخ المصري

عين زبيدة
في مكة

١ — لمحة تاريخية

إن مجرى عين زبيدة عمل هندسي جليل جمع بين العظمة والبساطة ، تُجمع بواسطة مياه الأمطار التي تهطل في وادي النعمان أو على قمم الجبال المحيطة به في قناة مبنية . ومبدأ القناة في بطن وادي النعمان ، ثم بعد مرورها بوادي عرفات والمزدلفة واقترابها من منىً تتجه نحو مكة وتتفرّع فيها ، فيستقي منها الحجاج في أيام الحج . وأما أهل مكة فهي بين أيديهم طوال السنة .

ويرجع الفضل في انشائها إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد. وقصة ذلك أن السقاية — وهي السهر على تمتع الحجاج بكفايتهم من الماء — كانت من مفاخر العرب ، إذ كانوا يتسابقون الى تولي أمرها . وقد تناقلتها بيوتات قريش إلى أن أبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني العباس . فلما جاءت السيدة زبيدة إلى الحج ورأت ما يعانيه الحجاج وأهل مكة من التاعب في الحصول على المياه التي كانت تُجلب على ظهور الدواب من الآبار السحيقة، أمرت بالبحث عن مورد للماء غزير وعذب . فأرشدت إلى عيون عدة في وادي حنين كانت ترويه . فأمرت أن تُشترى تلك العيون فيُحمل ماؤها إلى قناة واحدة تجري حتى قلب مكة . ولكن القناة لم تكن تمر بمشاعر الحج (عرفات والمزدلفة ومنى) فرأت السيدة زبيدة أن تأمر ببناء مجرى آخر لإمداد المشاعر بالمياه ، فأنشئت سنة ١٨٠ هـ عين النعمان من طرف جبل كَرَى من جبال الطائف حتى مكان قريب من جنوب منى . ولم يمكن إيصالها إلى مكة لوجود صخر صلب في طريقها يتعذر نقره .

وقد تعهد هذا المجرى الحكامُ من خلفاء الأمم الإسلامية وسلاطينها بالترميم والتعمير واستمرّ الماء يجري فيها حتى الدولة العثمانية (سنة ٩٢٣ هـ) فأهملت العيون فتهدمت وجفّ ماؤها (سنة ٩٣٠ هـ) وعاد الناس الى أخذ الماء من الآبار . ثم لجأوا إلى السلطان سليمان القانوني (سنة ٩٦٩ هـ) فأمر بتعمير عين النعمان ، وإنشاء قناة جديدة (سنة ٩٧٩ هـ)

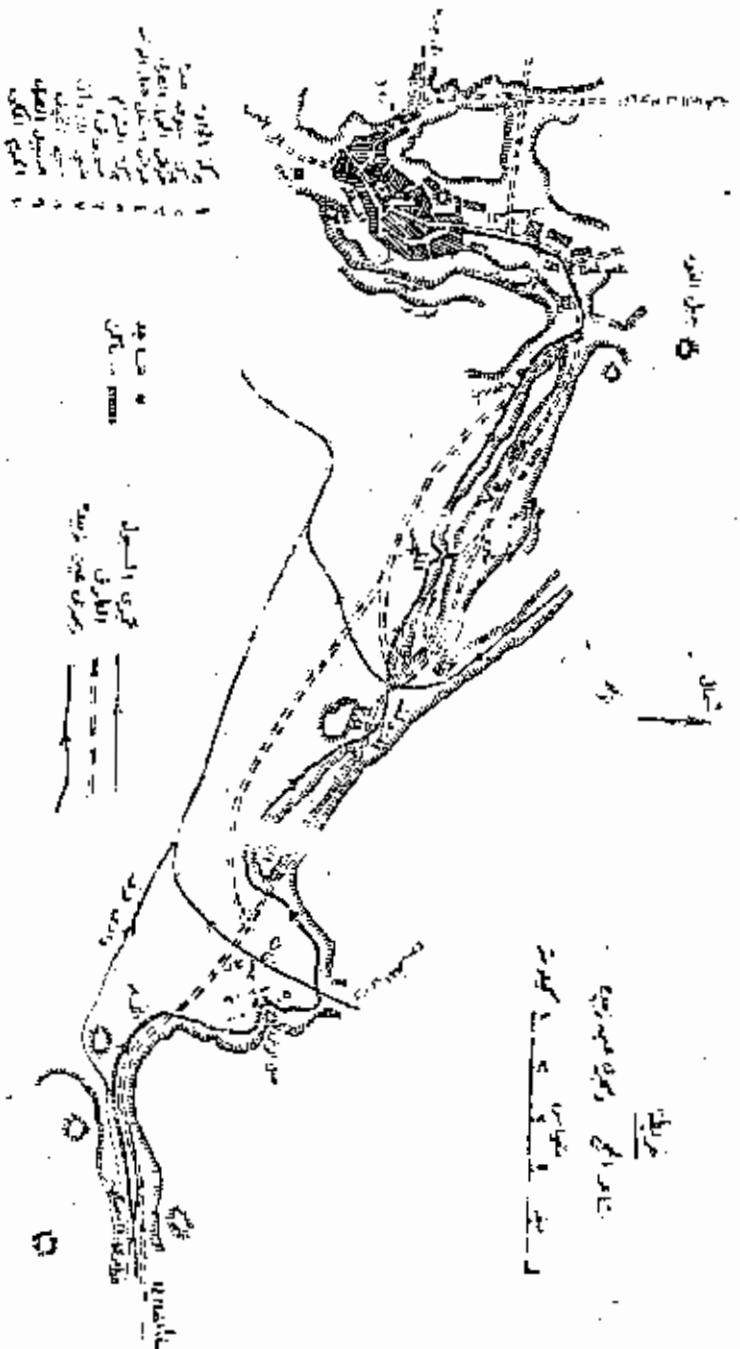

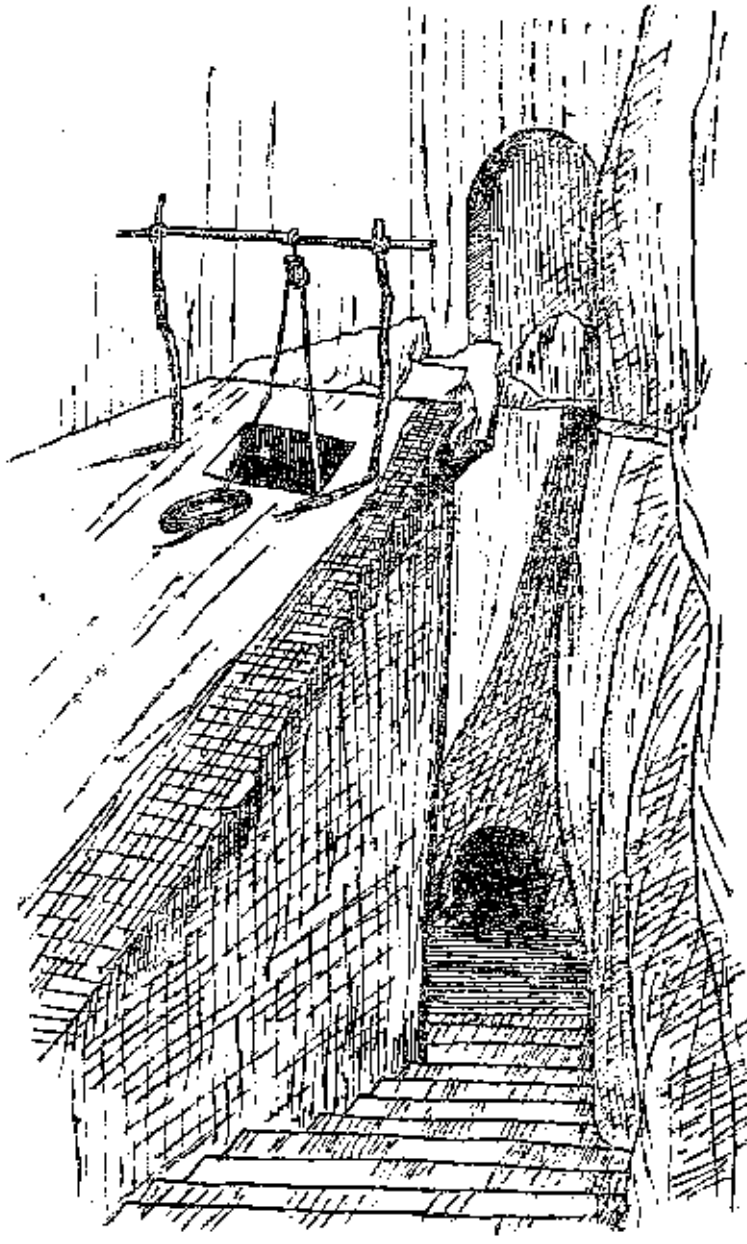

شكل يبين سحب الماء من الدبل « المجرى » في حالة سحق العمق

لإيصال المياه إلى مكة ثم في جوف الصخر الذي أمكن حفره بإيقاد نيران على سطحه لكي يتشقق.

وأهملت عين حنين بعد ذلك، وأصبحت عين النعمان تروي المشاعر الثلاثة ومكة ومساحات قليلة من الأراضي الزراعية، وهي تسمى الآن عين زبيدة.

وقد تراوح الخراب والتعمير هذا المجرى بسبب السيول والزلازل أو الاهمال، ثم بفضل العناية تبعاً لتغير الحكام واختلاف نزعاتهم، حتى تألفت لجنة للإشراف على العين ومرافقها بالإصلاح والتوسيع (سنة ١٢٩٥ هـ).

ولما دخلت البلاد في حكم الملك ابن السعود (١٣٤٣ هـ) أيّد الملك اللجنة التي كانت موجودة وحملها على صيانة مأخذ الماء ومباني المجرى.

٢ — طريقة إسالة الماء في المجرى

ليست هذه العين نبعاً طبيعيًّا فتتدفق من أعالي الجبال لتجري في الشعاب والأودية وتكوّن الأنهار، بل هي من تدبير الانسان بتسخيره للموارد الطبيعية وتذليلها لارادته. فوادي النعمان تحيط به جبال شاهقة أحجارها صوانية تهطل عليها الأمطار فتسيل إلى الوادي وتغور في رماله الكثيفة إلى أن تصل إلى طبقة صخرية لا تستطيع المياه أن تنفذ منها، فتحتصها الرمال في الطبقات السفلية ثم تنحدر بطبيعتها بحسب الميل الذي في سطح الطبقة الصخرية.

التي تبلغ الطبقات الرملية المشبعة للمياه وأنشىء مجرى (« الدبل » في لغة الحجاز) تابعه منحدر وجوانبه مفرغة للعامات، فان الماء يتسرب من الرمال الى داخل « الدبل » ويجري فيه جهة الانحدار. وإن ألحقت بالمجرى فروع متشعبة في جهات الوادي (وهذه الفروع في لغة الحجاز يقال لها شحاحيت) زاد مقدار الماء المتسرب الى « الدبل ». ثم ان جعل قدر الانحدار في المجرى أقل من قدر انحدار سطح الماء الجوفي بلغ « الدبل » نقطة يلتقي فيها بأعلى منسوب لسطح الماء، فيدخل في الرمل الجاف. وان أنشىء « الدبل » من بناء أصم بعد ذلك أمكن تسيير الماء وتوجيهه الى حيث يراد. وهذه هي الطريقة المستعملة في أنحاء الحجاز لجمع المياه من بطون الأودية وجلبها للبلاد (وتسمى «السيول»). وهي نفس الطريقة التي تجمع بها مياه وادي النعمان فتجري في « الدبل » مارة بالأودية وفي سفح الجبال، الى ان تصل مكة، وعين الزرقاء بالمدينة المنورة يجمع ماؤها بهذه الطريقة أيضاً.

عين الطبيعة

ولدت حادثة لم يسمع بمثلها في تاريخ الطب في أميركا ، هي حادثة ميلاد طفل سوي حي تكون أثناء تخلقه خارج أعضاء أمه التناسلية

ولقد روى هذه الحادثة طبيب من لوس انجليس ونشرتها صحيفة شيكاغو صن . حدث ذلك في مستشفى الفيلبرس . والأم هي مدام بيسي ووكر ، عمرها ٢٣ سنة ، وابنتها المولودة اريس جان وزنت سبعة أرطال ونصف عند ولادتها . ووصف دكتور ر . ب جنكنس حالة هذه الوضع بأنها « حمل يطفو خارج الرحم » . قال ان الجنين لم يتخلق في الرحم أو القنوات الفلوبية ، بل في تجويف البطن ، حيث أتيحت له الطبيعة مكاناً الى جانب جهاز الأم الهضمي . والظاهرة النادرة اكتشفها دكتور جنكنس عند ما استعد لاجراء العملية القيصرية لينقذ الطفل ، وكان قد مر عليه ٢٣ يوماً أزيد من الزمن المعتاد .

ولكن الاطباء المساعدين أخذوا بالعجب مما رأوا . فان الرحم كان في حالة سوية وليس بها أي أثر من آثار التأثر بالحمل . وزاد عجبهم عندما رأوا أن الطفل صارخ بقوة غير معهودة . ولكن متكلتم الكبرى انحدرت في كيف وجدت الرئة للفغة طريقها من القناة الفلوبية مخترقة جدار البطن العريض الى جزء من الجنين لا يمكن الوصول اليه إلا بعملية جراحية . ثم مشكلة أخرى ، كيف اغتذى الجنين أثناء الحمل

قال دكتور جنكنس : « من أجل ان ذلك الكيس الذي يجري كل جنين قبل الولادة كان مملوءاً بحالون كامل من الدم ، بدلا من الماء ، أعتقد أن الطبيعة قد أعدت للجنين دورة دموية خاصة جرت بين ذلك الكيس والأم ، وان الجنين غذي بطريقة الصح أو الامتصاص من البيئة الدموية التي أسعفت بها الطبيعة ذلك الكائن في عزلته تلك .

لا بد من أن الطبيعة تكون قد احتاطت قبلذلك جهدها في الاحتفاظ بحياة الأم وحياة الجنين معاً . فان الكيس الذي حوى ذلك الدم كان أكثر صلابة وتماسكاً من المعتاد . ولو انه انفجر في جوف الأم ، اذن لقتلها بسرعة . ولقد أدلى دكتور جنكنس بهذا الأمر الى رصفائه الاطباء في جمعية كاليفورنيا الطبية ، فقرروا بالاجماع ان هذه الحالة فريدة في بابها وانهم لم يعهدوا لها نظيراً .

وقد يجري الدبل في جوف الأرض في أعماق سحيقة أو دانية ، فتشق في أعلاه فتحات على مسافات مختلفة تتصل بسطح الأرض بناء أسطوانية كبناء الآبار (يسمى « خروزات ») . وهي لازمة للتهوية أو للوصول الى « الدبل » لأجل التنظيف او الترميم .

وقد يجري الدبل على سطح الأرض فيجعل له سقف به فتحات يؤخذ منها الماء ، ويجعل له فروع تصب في خزانات أو صهاريج يستقي منها الناس .

عثمان رفقي رستم

كبير مهندسي مصلحة الآثار المصرية

حق غريق
في بحر من الباطل

لا مرية في أن يعجب بعض الناس أن ينتحل أقوالاً يعزوها لغيره ، أو يبدع من نسج خياله صوراً لا تمت إلى واقع الأمر بصلة، ثم لا تلبث هذه الأقوال أو هذه الصور أن تأخذ على توالي الأيام عند بعض الناس صفة الحقيقة، فينقلها مفترضاً صحتها من غير أن يتعرض لها بتحقيق أو على الأقل يقدمها في ثوب من الحيطة والحذر كما تقضي الأمانة العلمية .

ومن ذلك ما وقع به ابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الأطباء نقلاً عن اسحاق بن حنين خاصًّا بنسطاس ومرين ملك روفسطانس وارسطو طاليس اليكم مما سيأتي ذكره. وأثبت أستاذنا الجليل حضرة صاحب المعالي احمد لطفي السيد باشا في تصديره لكتاب الأخلاق لأرسطو انه مقتبس بقوله :

« والواقع ان أرسطو لم ينتقل مدة الطلب من أثينا ، وكانت أثينا طوال ذلك الحين جمهورية ليس فيها ملك، فأمر أفلاطون بتعليم ابنه، ولا ابن ملك ليعلمه أفلاطون فيتلقف أرسطو، الذي جعلته هذه القصة خادماً ما كان يلقيه الاستاذ على ابن الملك، كل ذلك لم يكن، بل لم يكن منه إلا شيء واحد هو ان الشاب أرسطو ذكي مجتهد . وهذا حق غريق في بحر من الباطل »

وبعد : فأقدم القصة نفسها نقلاً عن كتاب طبقات الأطباء نفسه مردفة بمقالة ارسطو او المنسوبة إلى أرسطو في ذلك اليوم . وإني إذ أنشر بعد القصة هذا المقال المنمق حقًّا ، والذي هو من غير شك من كتاب رديء لا نزاع ، لا اقصد من نشره التعرض له من جهة الباعث الذي حمل اسحاق او غير اسحاق على إسناد هذا القبيل الى ذلك الاسم الضخم، اسم ارسطو طاليس، وانما مقصودي من نشر هذا المقال هو أن أسهل الاطلاع على هذا المقال الممتع لمن يجب أن يوقن نفسه في سلوكه على ضوء ما فيه من حكم وآداب . ولمن يجب أن يلقح فهمه بهذه النتائج السامية ؟ أليس بين يديه هذه المادة الغزيرة ، فحاشا بها على من سوف يقرؤها لمجرد التسلية، من غير أن يأخذ نفسه بالرياضة عليها، فقد كان أرسطو يرى والحق ما يراه انه لا فائدة من العلم إلا في التهيئة عملاً نظريًّا دون رياضة النفس على حيازته واستعمالها.

واليكم الآن القصة وما سطّر حنين من إجابة لأرسطوطاليس في ذلك اليوم .

اتخذ روفسطانس الملك بيتاً للحكمة وفرشه لابنه فيلاندروس وأمر أفلاطون بملازمته

وتعليمه، وكان نطافورس غلاماً متيقظاً قليل الفهم بطيء الحفظ ، وكان أرسطوطاليس غلاماً يتيماً قد سمت به همته الى خدمة أفلاطون الحكيم، وكان ذكيًّا فهماً جادًّا مجيداً. وكان افلاطون يعلم نطافورس الحكمة والآداب فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً ولا يعبر حرفاً واحداً . وكان أرسطوطاليس يتلقف ما يلقى الى نطافورس فيحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سرًّا من أفلاطون ويحفظه، وأفلاطون لا يعلم ذلك من سر أرسطوطاليس وضميره، حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب (١)

وألبس نطافورس الحلى والحلل وحضر الملك روفسطانس وأهل المملكة وأفلاطون وتلاميذه فلما انقضت الصلاة صعد أفلاطون الحكيم ونطافورس الى مرتبة الشرف ودراسة الحكم على الاشهاد والملوك ، فلم يؤد نطافورس شيئاً من الحكمة ولا نطق بحرف من الآداب فأسقط في يد افلاطون ، واعتذ الى الناس بأنه لم يتحن حله، ولا عرف مقدار فهمه ، وانه كان واثقاً بحكمته وفطنته، ثم دعا من ينوب عن نطافورس من تلاميذه فقام ارسطوطاليس وصعد الدرج بغير زينة [illegible] وأتى بأنواع الحكمة والآداب التي أتمام افلاطون الى نطافورس لم يترك منه حرفاً فقال افلاطون للملك : هذه هي الحكمة التي لقنتها نطافورس قد وعاها أرسطوطاليس سرًّا فما حيلتي في الرزق والحرمان . وكان الملك في ذلك اليوم يرضع ابنه الملك فأمر باصطناع أرسطوطاليس ولم يرضع ابنه للملك وانصرف الجمع في ذلك عن استحسان ما أتى به أرسطوطاليس والتعجب من الرزق والحرمان .

مقالة أرسطوطاليس وما نُسب اليه في ذلك اليوم

لبارئنا التقديس والاعظام والاجلال والاكرام .

أيها الاشهاد : العلم مرهبة الباري ، والحكمة هبة من يعطي ويمنع ، ويحط ويرفع ، والتفاضل في الدنيا والتفاخر بها بالحكمة التي هي روح الحياة ومادة العقل الرباني العلوي .

أنا اروسطوطاليس ابن فيلوبيس اليتيم خادم نطافورس ابن الملك النديم . حفظت ووعيت والتصبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب الاسباب .

أيها الاشهاد : بالعقول تتفاضل الناس لا بالاصول ، وعيت عن افلاطون الحكيم : الحكمة رأس العلوم ، والآداب تلقيح الافهام ونتائج الاذهان ، وبالفكر الثاقب يدرك الرأي المصيب ، وبالتأني تسهل المطالب ، وبلين الكلام تدوم المودة في الصدور ، وبخفض

(١) يقال ان الملوك من الى اية وضيعة كانت تعلم أولادها الحكمة والفلسفة في بيوت الذهب هذه وكانت هذه البيوت تزين بالدور لارتياح التلاميذ اليها . فيحدق النظر الى رؤيتها فاذا حفظ الغلام من أولاد الملوك علماً أو حكمة أو أدباً صعد على منبر في يوم العيد أمام أهل المملكة بعد انقضاء الصلاة ويتكلم بالحكمة التي حفظها على رؤوس الاشهاد وعليه التاج وحلل الجوهر وبعد ذلك يعد حكيما على قدر ذكائه وفهمه

الجناح كم الأمور ، وسعة الأخلاق يطيب العيش ويكمل السرور ، وبحسن الصمت جلال الهيبة ، وبالبشاشة المنطق يعظم القدر ويرتقي الشرف ، وبالانصاف يجب التواصل ، وبالتواضع تكثر الفرقة ، وبالعفاف تزكو الاعمال ، وبالاغضاء يكون السؤدد ، وبالعدل يقهر العدو ، وبالحلم تكثر الانصار ، وبالرفق تستخدم القلوب ، وبالايثار يستوجب اسم الجود ، وبالانعام يستحق اسم الكرم ، وبالوفاء يدوم الاخاء ، وبالصدق يتم الفضل ، وبحسن الاعتبار تضرب الأمثال ، والايام تفيد الحكم . يستوجب الزيادة من عرف نقص الدنيا ، ومن اتساعات تتولد الآفات ، وبالعافية يوجد طيب الطعام والشراب ، وبحلول المكاره ينتقص العيش وتتكدر النعم ، وبالمنّ يكفر الاحسان ، وبالجحد للانعام يجب الحرمان ، صديق الملول زائل عنه ، السيء الخلق متخاطر صاحبه ، للضيق الباع قصير النظر ، البخيل ذليل وإن كان غنيًّا والجواد عزيز وان كان مقلاً ، الطمع الفقر الحاضر ، اليأس الغنى الظاهر ، لا أدري لصف العلم ، السرعة في الجواب توجب العثار ، التروّي في الأمور يعث على البصائر ، الرياضة تشحذ القريحة ، الأدب يغني عن الحسب ، التقوى شعار العالم ، الرياء لبوس الجاهل ، مقاساة الأحمق عذاب الروح ، الاستهتار بالنساء فعل النوكى ، الاشتغال بالغائب تضييع الأوقات ، التعرض للبلاء مخاطر بنفسه ، التقي سبب الحسرة ، الصبر تأييد العزم وثمرة الفرج وتحقيق المنة ، صديق الجاهل مغرور ، المخاطر خائب ، من عرف نفسه لم يضع بين الناس ، من زاد علمه على عقله كان علمه وبالاً عليه ، المجرب أحكم من الطبيب ، إذا فاتك الأدب فالزم الصمت . من لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل ، من تأنى لم يندم ، من افتخر ارتطم ، من عجل تورّط ، من تفكر سلم ، من روى غنم ، من سأل علم ، من حمل ما لا يطيق ارتبك . التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة ، للسعادة على كل أحد سلطان ، وكل شيء يستطاع نقله الاّ الطباع ، وكل شيء تتهيأ فيه حيلة الاّ القضاء ، من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار . قد يكتفى من حظ البلاغة بالايجاز ، يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ، من وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال ، ومن عدم درك ذلك كان مقصوراً بالجهل ومقرونًا بعجب الرأي . ومعدولاً بالهوى عند باب التثبت ، ومصروفاً بسوء العادة عن تفضيل التعليم ، الجزع عند مصائب الاخوان أحمد من الصبر وصبر المرء على مصيبته أحمد من جزعه ، ليس شيء أقرب الى تغيير النعم من الاقامة على الظلم ، من طلب خدمة السلطان بغير أدب خرج من السلامة الى العطب الارتقاء الى السؤدد صعب ، والانحطاط الى الدناءة سهل»

تلك هي القصة وهذه هي المقالة ولعلي بنشرها أصادف مَنْ نفسه مستعدة لهذه الكلمة ملاءمة لها فتهدي بهديها ، وهذا آخر غرضنا من نشرها والسلام .

منصور رجب
المدرس بكلية أصول الدين

الرأي العام الاجتماعي

وكيف نكوّنه في مصر

تكوين الرأي العام سواء أكان سياسيًا أم اجتماعيًا أم اقتصاديًا، يجب أن يجري على أسلوب واحد وبأسباب سيكلوجية واحدة ولغاية واحدة، هي خير الأمة ورفيها بإيجاد وجدان يقظ لتطورها وسعادتها.

والرأي العام بالطبع هو الرأي الناطق، أي رأي المتعلمين الذين يستطيعون درس الحوادث ويستطيعون أيضاً التكلم فيها. وهذان الشرطان ضروريان لإيجاد رأي عام مهما كان نوعه.

١ — القدرة على الدرس بتوافر الوسائل للتعليم والاستنارة.

٢ — والقدرة على الافصاح بتوافر الوسائل للتعبير عن الرأي.

وإذا فقدنا أحد هذين الشرطين فقدنا الرأي العام. ففي الأمم الدكتاتورية مثلاً وسائل لا تحصى للتعلم كالمدارس وغيرها. ولكن أفراد هذه الأمم يحال بينهم وبين التعبير عن آرائهم، ولذلك لا يمكن أن يكون لهم رأي عام. وكذلك تجد في الأمم الجاهلة التي لم تنتشر فيها وسائل التعلم، حرية في التعبير عن الرأي، ولكن هذه الحرية لا قيمة لها ولا انتفاع بها للجهل المخيم على العقول. ولذلك ليس لها رأي عام وكثير من الأمم الآسيوية على هذه الحال، لأن الأمية تفشي فيها.

ولا عبرة بالقول بأن الأمة حرة في التعبير عن آرائها اذا كانت جاهلة لأن الرأي لا يتكوّن الاّ بالمعرفة بوسائل النشر في جرائد ومجلات ومحطات اذاعية وكتب ومجالس الخ.

ولهذا السبب يمكن أن نقول إن الرأي العام في مصر ليس رأياً عامًا؛ وانما هو رأي خاص، لأن الرأي الناطق، الرأي المتعلم الذي وصل الى المعرفة لا يزيد اصحابه على نحو ١٠ أو ١٥ في المئة من مجموع الأمة، بل ربما كانوا أقل من هذا، وهم أولئك الذين تعلموا في مؤسسات التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية كلها أو بعضها. أما خريجو التعليم الازهري فلا أستطيع أن أقول إنهم متعلمون وإنهم وصلوا من المعرفة حدًا يسمح لهم بتأليف رأي عام في شؤوننا الاجتماعية أو الاقتصادية. فهم والأميون سواء من هذه الناحية.

الرأي العام في مصر هو رأي ١٠ أو ١٥ في المئة من الأمة. ورأي أقلية صغيرة متعلمة

رأي خاص . فاذا شئنا ايجاد رأي عام ، فلا مفر من أن نعلم الأمة كلها تعليماً عصرياً بحيث يستطيع خريجو هذا التعليم أن يدرسوا مشكلات مصر بالروح العصري في ضوء القيم والاعتبارات العالمية . وهذا أمل لا يزال بعيداً . ولكن ليس معنى هذا أن ننفض أيدينا ونقول : ليس عندنا رأي عام فلا يجدينا بحث هذا الموضوع . لأن الواقع أن هذه الأقلية تقوم بتكوين الرأي العام لأن جمهور الأميين يسير خلفها ويرضى — من حيث يدري أو لا يدري بحكمها .

والمفهوم من الموضوع الذي نتحدث عنه أننا نرغب في رأي اجتماعي حسن ونبحث الوسائل التي تؤدي الى تحقيقه . فما هو الرأي الاجتماعي الحسن ؟

الرأي الاجتماعي الحسن في سنة ١٩٤٤ هو غير الرأي الاجتماعي الحسن في سنة ١٨٤٤ وهو غير الرأي الاجتماعي الحسن في سنة ٢٠٤٤ لأننا لا نستطيع أن نتخيل « الحسن » مطلقاً غير مقيد بزمان أو مكان . وقصارى ما نقول فيه إنه شعور اجتماعي حسن أو انه عواطف اجتماعية بارة ، أو إنه اتجاه إلى الخير في جمهور الأمة المستنير ، ثم نفوق ذلك رغبة في تحقيق هذا الخير .

ولسنا في حاجة الى أن نشرح ما هو خير الأمة لأننا إذا تقيدنا بالزمان والمكان عرفنا هذا الخير . أما إذا تطرحنا في الغيبيات عن الخير المطلق فاننا لن نعرفه ، او لن نتفق على ماهيته . ومع ذلك نستطيع أن نقول إن صحة الأجسام واستنارة العقول ووفرة المساكن والملابس الصحية كلها خير لا نختلف فيه ، ولكننا نختلف مثلاً في ماهية العائلة الحسنة أو التعليم الحسن ، بل أحياناً نختلف في منفعة الحروب وضررها ، بل منا من يعتقد أن الفقر مفيد لبعض الناس ، وإن العلاج الناجع للجريمة ليس سوى السجن والمشنقة .

والرأي العام الاجتماعي « الحسن » يجب أن يكون له رؤيا وأن يستنير ببصيرة منقبة في كل هذه الشئون . والرؤيا والبصيرة كلتاهما تتكونان بالمعرفة العصرية المقيدة بالزمان والمكان .

والمعارف هي المواد الخام التي يتألف منها الرأي العام . وقسم كبير من هذه المعارف ، بل أحياناً أصولها نتناولها من المدارس والجامعات . فاذا اختلفت هذه المدارس والجامعات في المعارف التي تعلمها لتلاميذها وطلبتها ، فان الرأي العام يجب أن يختلف . وإذا كان الاختلاف بين أكثرية وأقلية فان هذا الاختلاف ينفع لأنه يعود بمثابة السم التقليل الذي ينبه ولا يقتل . ولكل أقلية لهذا السبب مهمة اجتماعية حسنة إذ لا ضرر على الجسم الاجتماعي من قليل من الزرنيخ بل هو يتقوى به . ولكن إذا كان الاختلاف بين طائفتين متساويتين أو تقاربان المساواة فانه ، أي الاختلاف يضعف لأنه يمزق الأمة فيكون كذلك الاختلاف الذي

ينشأ من فريقين متساويين في البرلمان يمنع كل منهما الآخر من العمل . وهذا هو ما نرى آثاره أحياناً في مشروعنا الاجتماعية بين فريق المتعلمين مثلاً في الجامعة الأزهرية وبين فريق المتعلمين في جامعة فؤاد الأول، دون انتقاص لاحدى الجامعتين. وحسبنا مسألة خلافية واحدة تدلنا على هذا الانشقاق وهي أيضاً ممن لغيرها من الخلافات . فمن وقت لآخر وخاصة أيام الصيف نسمع رأيين :

أحدهما ينضوي الى مجموعة من المعارف تؤلف ثقافة معينة وتنتهي إلى ايجاد رأي اجتماعي خلاصته أن النساء سيدات وآنسات يتبذلن على الشواطىء ويكشفن من اجسامهن جزءاً كبيراً ، وإن هذا السلوك يخالف تقاليدنا ونحتاج لهذا السبب إن تقييد الاستحمام بقيود وشروط .

والرأي الآخر يقول إن الاستحمام على الشواطىء يحتاج إلى التشجيع، لأن تعرض المرأة للشمس يمكنها من إدخال فيتامين (د) وهو ضروري للصحة الحسنة، فيجب عليها أن تبقى على الشواطىء أطول ما يمكن من الوقت وأن تكشف من جسمها أكثر ما يمكن . فهنا نظران مختلفان يتساويان في القوة ويحدثان خلافاً يقلقل ويزعزع .

ولكي نكوّن « رأياً عاماً اجتماعياً » حسناً في هذا الموضوع أو في غيره يجب أن نعتبر الزمان والمكان، وإن نعتمد على المعارف العلمية العصرية، ولكن إذا كان جمهور كبير في الأمة يعارض المعارف العلمية العصرية ، ويرفض اعتبار الزمان والمكان ، فان تكوين رأي عام اجتماعي يعود من المشكلات والمشقات الكبرى .

ولنذكر مثالاً آخر وهو التناقض بين رأي اجتماعي قديم ونظام اقتصادي حديث، فنحن في الوقت الحاضر نتألم من الاخبار المحزنة عن تفشي الملاريا الثالثة في المديريات العليا من الصعيد . وكان أبرز ما في هذه المأساة أن السكان في هذه الاسقاع الموبوءة على غاية من الثقة حتى قبل ان بعضهم يأخذ الكينين من أطباء الصحة فيبيعه لكي يشتري الخبز ، وحتى ان الحكومة باعتهم الدقيق بنصف ثمنه .

وظروف مصر الحاضرة تنادي بالحاجة الى العمال والأجور عالية ، فكيف يفتقر جمهور كبير من أبناء وطننا الى الطعام .

الجواب سهل وهو ان بعض أبناء الصعيد يلتزمون ثقافة قديمة وآراء بل عقائد اجتماعية لاتتفق وكسب العيش في عصرنا . ففي الوجه البحري تعمل المرأة الى جانب الرجل بلا عيب ولا عار وكلاهما يكسب، فلا فقر قاتل يؤدي الى الجوع . ولكن في المديريات العليا من الصعيد يأنف الرجل من إن تعمل زوجته أو ابنته أو أخته وتكسب لأن هذا يعيبه ويشينه .

ولذلك يجب عليه ان يقتسم أجرته معهن وهي لا تكفي ، فلا يكون سوى الجوع للجميع ، هو وهن ثم المرض ثم الموت ، وهذا هو الآن مأساة الصعيد .

آراء بل عقائد اجتماعية قديمة ، تحول دون الأخذ بالروح العصري . فلكي نكوّن رأياً اجتماعياً حسناً في مصر ، يجب ان نكافح هذه العقائد الاجتماعية .

ويجب ان نقول عقائد اجتماعية وليس آراء اجتماعية ، لأن سكان أسوان وقنا وسوهاج لا يرتأون الرأي عن العرض او عمل المرأة او الثأر ، بل يعتقدون العقيدة . ولكنهم ليسوا مع ذلك شاذين لأن ما نسميه « رأياً عاماً » في أية أمة مهما بلغت حضارتها ، انما هو مجموعة العقائد العامة أو هو رأي قائم على أسس من هذه العقائد العامة .

وأنا أؤثر عبارة « العقل العام » على عبارة « الرأي العام » لأن العبارة الأولى تنطوي على العقائد والعادات الذهنية والحدود اللغوية التي يتكوّن منها جميعاً « عقل عام » للأمة العقائد تتكهن بالرأي الذي تنتهي اليه في حادث معين إذا عرفناها ، أي إذا عرفنا هذه العقائد والعادات الذهنية والحدود اللغوية التي لا يمكن فرداً ان يتحرر منها مهما ظن انه حر وانه لا يبالي المجتمع الذي يعيش فيه .

وتعجبني هنا كلمة جون دوي عن التفاعل بين الفرد والمجتمع . فهو يقول : ان الفرد الى المجتمع كالطفل الى العائلة . فهو يعطي المجتمع من الآراء ويأخذ منه من الآراء أيضاً بمقدار ما يعطي الطفل لعائلته من كلمات الطفولة الجديدة وما يأخذ منها من بقايا الكلمات التي يتحدث بها .

حين نتكلم عن ايجاد « رأي عام اجتماعي » يجب ان نذكر هذا . يجب أن نذكر أننا في أمر عادات ذهنية وعقائد تبدأ من أتفه أعمالنا إلى أجلها من الأسلوب الذي نتبعه في تناول طعامنا الى طريقة التحدث الى من هم أكبر منا مقاماً الى ارتياد المرأة الرأي من حرية المرأة او ديمقراطية الحكم . وهذه العادات الذهنية مع ما يرافقها من كلمات تحمل كل منها شحنة عاطفية تقرر لنا السلوك الاجتماعي فغضب أو ثأر وخاطر أو فر من حيث انتقد أن هو اطف الغضب والسرور والمخاطرة والفرار انما هي جميعها من منبع نفوسنا وليست منعكسة من المجتمع علينا . وليس شك في أن الصعيدي في قنا أو جرجا حين يقتل أخته أو أمه للعرض ، يعتقد أنه حر في هذا الاجراء ولا يمر بخاطره أنه تربى على عادات ذهنية وتعلم ألفاظاً معينة جعلته يرتكب جريمته . ولو أنه كان قد عاش في مجتمع آخر في إحدى مدن الوجه البحري أو قرأه ، لما وجد في لفظة العرض هذه الشحنة العاطفية الملتهبة التي يرتكب بسببها نحو ثلاثمائة جريمة قتل في مديريات الصعيد كل عام .

وتكاد اللغة الموروثة والعقائد والعادات الذهنية لا تحسها جميعها، لأنها منا بمثابة العدسة التي ننظر من خلالها الى الأشياء والناس فلا نراها هي . أي لا نرى العدسة التي تكبر أو تشوه لنا الأشياء والناس . أو بكلمة أخرى نقول أن الشحنات العاطفية التي تحملها ألفاظ اللغة والعقائد والعادات الذهنية قد انحدرت الى العقل الباطن فلا نحس المجتمع الذي أورثناها

نحن نفكر في تكوين رأي عام اجتماعي يجب أن نتذكر كل هذا، ويجب ألا نضحك حين نقرأ أن أحد الزنوج من السكهنة في أفريقيا السوداء يقدم نفسه راضياً بالقتل لأنه أحس أن بقاءه حيًّا يؤخر النصر وأن موته سينعش الزرع بالغيث . كلانا قد آمن بمعتقد مجتمعه وتلبس بها من حيث لا يدري .

ولكن مع كل هذه الصعوبات يجب أن نفكر وندبر الوسائل لايجاد رأي عام اجتماعي حسن . رأي عام مستنير .

والرأي العام المستنير الحسن يجب أن يكون في عصرنا رأياً عالميًّا لأننا لا نعيش منفصلين عن العالم . فاذا كان قد وسع مصر قبل ٨٠٠ أو ٧٠٠ سنة أن تكون لها عادات قومية وثقافة مصرية ، فلا يسعنا نحن الآن أن نستقل باجتماع خاص يخالف الاجتماع البشري العالمي .

كان العالم قبل ٨٠٠ سنة منفصلة أجزاءه ، قد شطحت المسافات بين كل قطر وآخر . وقد احتاجت جيمس ريتشارد قلب الأسد الى عام كامل لكي تسافر من انكلترا الى فلسطين فكان الانفصال تقرره عوامل جغرافية . أما الآن فيمكن السفر بين طرفين القطرين في نصف يوم بالطائرة . فالاتصال بين قطر وآخر والوحدة الاجتماعية فيها ما يبررها . والنظام الاقتصادي الذي يهم الدنيا سوف يعمم من قريب نظاماً اجتماعيًّا عامًّا .

وقد اضطررنا في السياسة الى الأخذ بالاتجاه العالمي كما يثبت ذلك انضمامنا الى ميثاق الاطلنطي وأنشأنا بذلك أننا متمدنون عصريون ، قد نقلنا السياسة المصرية من النظر القروي الى النظر العالمي . واجتماعنا — مثل سياستنا — يجب أن يتجه هذا الاتجاه .

ولكن يجب ألا ننسى أن الرأي السياسي قد يتغير بسهولة لانجد مثلها في تغيير الرأي الاجتماعي عقيدة . لصخة تحمل شحنة عاطفية تتصل بالسلوك الجنسي أو المقام الاجتماعي أو الاحساس الديني . ويزاد على ذلك ان ذوي الرأي السياسي — حتى حين يملك هذا الرأي أن يكون عقيدة — هم أقلية صغيرة مثقفة قد ألمت أفكارها الذهنية الى حدّ ما . فهي تقبل التغيير . ولكن العقائد الاجتماعية تنشر بين الأكثرية الساحقة من الأمة . وهي أكثرية غير مثقفة لم تتدرب أذهانها على الجدل ولم تعرف فيما ذلك . فمكان الصعوبة الذين

أشرنا اليهم يعيشون بعقائد اجتماعية لها قوة اليقين، ولكن ليس لهم آراء سياسية عن الحرب أو السلم أو التغيرات المنتظرة منهما.

ومهمة الأقلية المثقفة في مصر أن تغير العقائد الاجتماعية عند هذه الأكثرية. ومع أن هذا مجهود شاق فانه واجب، بل هو رسالة يحملها كل مصري مثقف. واذا كان اسماعيل باشا قد استطاع أن ينير الأمة وينقلها من الشرق الى الغرب وان كان قد أدّى الثمن باهظاً. فاننا لنستطيع أن نسلك سبيله وخاصة أننا نعرف أن مسافة غير قصيرة قد قطعت. فقد استطاع اسماعيل ان يؤسس المدارس للبنات وان يدخل قانون نابليون وأن يوجد نظاماً عصرياً للحكومة، بل انه غير الزي الشرقي فأحاله الى زي غربي. ويجب ألاّ ننتقص هذا الاصلاح الأخير، لأن الزي الذهني كثيراً ما يتبع الزي الملبسي.

لقد وجد اسماعيل الأمة وهي على مستوى الظلام الذي كانت تعيش فيه أيام القرون الوسطى فأيقظها وأنهضها وبعثها أمة عصرية أو كالعصرية فهمتنا دون مهمته وواجبنا أخف من واجبه. ولكن يجب ان ندكر انه اول من حاول تغيير العقائد الاجتماعية وقد غيرها وأعظم محاولة قام بها مصري بعد اسماعيل في تغيير العقائد الاجتماعية هو بالطبع قاسم امين.

ولكن « العقائد الاجتماعية » هي كما قلنا عقائد وليست آراء فهي تحتاج لكي تغيرها الى كثير من التكرار والايحاء والقدوة. ذلك لأننا لن نستطيع ان نغير عقائد الجمهور ونحمله على الاصلاح في العائلة والزواج والطلاق والتعليم والعمال والنظام الديمقراطي للحكومة وللمجتمع الا بعد مجهودات متكررة [illegible] والسينماتوغراف والمسرح. ولهذين الاخيرين قوتهما الايحائية العظيمة وقدرتهما على تغيير العقائد. ولكن يجب أن يكون الى جنب هذا حكومة يقظة نيرة تنتهز الفرص لحمل البرلمان على سن القوانين التي تنقح وتغير في العادات الاجتماعية اي تفعل ما فعله اسماعيل بدون برلمان، بل بدون دعاية سابقة من أي نوع.

في أيام اسماعيل سبقت الحكومة الرأي العام وأصلحت اصلاح المستبد، ولكن ليست هذه حالنا الآن، ولسنا نحب ان نعود. على ان هناك اشياء في وقتنا سبق فيها المجتمع الحكومة كما نرى مثلاً في اصلاح الوقف وفي غيره فان الحكومة هي المتخلفة والمجتمع هو المتقدم. وقد نضج للاصلاح، ولكنها لا تلبي ولا تعجل.

وكما استطاعت الأقلية المستنيرة ان تقنع المجتمع بضرورة اصلاح الوقف وان تحمل الحكومة على ان تتهيأ — في بطء — لهذا الاصلاح كذلك تستطيع هذه الأقلية التي تتولى توجيه الرأي العام أن توحي العقائد الاجتماعية الجديدة او « تكوّن رأياً عاماً اجتماعياً »

وهذا الذي نقول هو ما فكرت فيه بالنسبة لهذه الاقلية السنيرة حين أنشئت وزارة الشئون الاجتماعية ثم ألحقتها بمجلة الشئون الاجتماعية . ففي أواخر سنة ١٩٣٩ دعيت الى التحرير بهذه المجلة فلبيت الدعوة في رغبة حارة لأن اجعل منها دعاية اجتماعية عصرية ورأيت أن خير ما يجب ان اقوم به أن أنقل القارىء من النظر القروي للاصلاح الى النظر العالمي . وذلك بأن اعرض طرق الاصلاح التي اتبعت في امم اوربا وأميركا المتمدنة اي ان المجلة تعود سجلا دائماً او معرضاً وافياً للاصلاحات الاجتماعية في سويسرا وأسوج وفنلك وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرها في كل ما يتعلق بالتعليم والاسرة والزواج والطلاق ورعاية الأطفال والرقي الصحي والكفالات الاجتماعية للعامل وبناء المساكن ومعالجة الجريمة ونظم الضرائب التدريجية والاتجاهات الصناعية الى غير ذلك .

ورأيت ان في عرض هذه الاصلاحات مجردة بلا دعوة الى التقليد ايحاءً صامتاً يبعث الاقلية السنيرة على التفكير في اصلاح وطننا بتوجيهات اجتماعية جديدة . والواقع اننا لا نحتاج الى الابتكار في التطور الاجتماعي كما لا نحتاج الى الابتكار في التطور الصناعي او المالي . لأن تخلفنا او وقف وقتنا منذ ايام اسماعيل يجب ان يحملنا على الاسراع في درس الاصلاحات الاجتماعية في الامم المتمدنة التي لم يسء حظها كما ساء حظنا ، ولم يقف تطورها كما وقف تطورنا، فما علينا لا يزيد على النقل مع التنقيح او بلا تنقيح . وغايتنا واضحة وهي الغاية التي رسمها اسماعيل حين قال « لم تعد بلادي من افريقيا انما هي الآن من اوربا » .

***

فلكي نكوّن رأياً اجتماعيًّا عامًّا في مصر يجب قبل كل شيء ان نجعل الاقلية السنيرة تتجه نحو الغرب ، وان نجعل من شرح الاصلاحات الاجتماعية هناك مادة أولية نصنع منها ونصوغ اصلاحاتنا . وهذا الاتجاه يحملنا على مكافحة أعظم لفظة في مصر في وقتنا وهي القول بأننا أمة شرقية . فان هذه اللفظة قد أحدثت في بعضنا عقدة نفسية تجعلنا نقف معارضين مناوئين ، ليس للاصلاحات الأوربية فقط بل للمعيشة العصرية، كأننا لسنا من البشر المتمدنين . وهذه العقدة تتخلل مجتمعنا كما لو كانت مرضاً يمتد ويتفرع فيجب مثلاً ألاّ تستحم السيدات والآنسات لأنهن شرقيات . ويجب ألاّ تتعلم المرأة التعليم الجامعي لأنها شرقية . ويجب ألاّ نؤمن بهذا الاصلاح ولا نصطنع هذه العادات لأننا شرقيون لنا تقاليدنا الخاصة الخ .

ولو أن اسماعيل باشا كان قد نبّه هذه الوجهة وقال مثل هذا القول لبقينا الى الآن في

أسر الظلام . ظلام القرون الوسطى . فالرأي العام الاجتماعي الذي نحتاج إليه هو الرأي العام العصري، الرأي العام العالمي الذي يعم جميع المتمدنين في هذا الكوكب . وقد تضمنا ان ميثاق الاطلنطي والحقوق الأساسية ويودي لو يخترع ميثاق اطلنطي آخر في الحقوق الاجتماعية تنضم إليه وتشارك به المتمدنين في رفاهيتهم . ومع ذلك فاننا يجب ألا نهمل النهضة الاجتماعية في الميثاق القائم . وأكبر ما في هذا الميثاق شأناً من حيث القيمة الاجتماعية هي الحريات الاربع ، إذ أن إحدى هذه الحريات هي التحرر من العوز ، وهي تنطوي على كثير من الحقوق الاجتماعية .

وكلاهما، أي ميثاق الاطلنطي والحريات الاربع، يرمزان إلى المستقبل. فنحن نتجه وجهة عالمية وسوف نتكلم بلغة واحدة في الاصلاح الاجتماعي . بل نحن الآن طبقة صغيرة العدد ولكنها تنمو وتتكاثر وتنظر هذا النظر في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وأفراد هذه الطبقة يؤلفون في مصر الرأي العام المستنير المتطور . ومعرفتهم بالمجتمعات الراقية في أوربا وأميركا يجعل وجدانهم يساوي، مجتمعنا عميقاً موجعاً . وهم لذلك سوط صارخ وسيف لا يقطع في أحوالنا . ومن هنا الكراهة التي يكتسبون من بعض الفئات الراكدة الجاهلة المستقرة، أولئك الذين لا يدرون أن الرجل المهذب في عصرنا هو الرجل العالمي، والمجتمع المهذب هو المجتمع العالمي

ولكي نكون رأياً اجتماعياً في مصر يجب ان تجد هذه الطبقة المستنيرة في الأمة

والتوجيه فيها وتسيطر على الحكومة والمصرح .

وللتلخيص أقول .

١ — ان الرأي العام هو على الدوام رأي خاص ، لأنه رأي فئة صغيرة قد حصلت على المعرفة المستنيرة مع القدرة على التعبير . وهذه الفئة الصغيرة تقود جمهور الأمة . وحال التعليم في مصر يجعل هذه الفئة صغيرة جداً .

٢ — الرأي العام الناضج يحتاج الى شيئين : هما المعرفة والحرية . فيجب ألا نسمح لأية عقبة في سبيلهما .

٣ — الرأي العام يختلف باختلاف المعرفة . لأنها هي المادة الأولية التي يتألف منها الرأي . فالرأي الذي يرتئيه خريج الأزهر لا شك مختلف عن الرأي الذي يرتئيه خريج جامعة فؤاد ، لأن المعرفة مختلفة .

٤ — إذا كان الاختلاف بين أقلية وأكثرية فهو مفيد لأنه لا يشل الأكثرية عن العمل ولكنه ينبهها ويحفزها . فإن الاختلاف بين طبقتين متساويتين في العدد والمكانة مضر لأنه يشل الأمة كلها عن الإصلاح . وبخاصة إذا كانت المعرفة التي أوجدت هاتين الطبقتين تختلف في الأصول إحداها شرقية تقليدية والأخرى مصرية علمية . لأن التصادم هنا مرجح والتسوية شاقة .

٥ — كثير من مثقفينا في مصر يعود إلى أننا نقول شرق وغرب . وذلك الصعيدي الذي يستنكر استخدام بنته أو أخته أو زوجته ويكتفي لنفسه الطعام مع عجزه ، إنما يلتزم ثقافة شرقية لم تعد تليق بالعصر الحديث . ومهمة الطبقة التي حصلت على المعرفة والتي تسود في مصر مجتمعاً عليها ، هي مكافحة هذه الثقافة .

٦ — تكوين الرأي العام السياسي أسهل من تكوين الرأي العام الاجتماعي ، لأن الأمة تلتزم عادات اجتماعية كأنها شعائر دينية يصعب عليها تركها . ولذلك تحتاج في إيجاد رأي عام حسن ، أن تفرض عقائد جديدة .

٧ — المجتمع العلمي الذي ننشده هو المجتمع العالمي الذي يسير مع الأمم المتمدنة في الرقي الاجتماعي ، وهو في عصرنا مجتمع أوروبا وأميركا ولذلك يجب أن تكون هذه وجهتنا كما كانت وجهة اسماعيل باشا وقاسم أمين .

٨ — لقد انضممنا الى ميثاق الاطلنطي . وهو ميثاق أكثره سياسي وأقله اجتماعي . فيجب أن ننضم أيضاً الى الحريات الأربع ، لأن بعضها يحمي كفالات اجتماعية كبرى للقمة . [illegible] اتجاه علمي وعالمي معاً .

ولن يمكنني بدلاً من هذا التلخيص ، بل بدلاً من هذه المقالة كلها ، أن أوجز فأقول إن الغاية الأولى والأخيرة من تكوين رأي عام اجتماعي أن يؤدي هذا الرأي في النهاية الى ما نسميه « المجتمع العلمي » الذي تستغل فيه المواهب البشرية والطبيعية بشكل يمنع التبذير والضياع : تبذير الصحة والذهن وضياع الثروة .

ونحن نسف المعارف الدقيقة التي ينتفي منها الخطأ بأنها « علمية » فالمجتمع العلمي هو المجتمع الذي يتزود من المعارف الدقيقة . ولا يمكن أن نحصل على هذه المعارف إلا مع الحرية التامة .

فلكي نكون رأياً عاماً اجتماعياً نحتاج إلى جمع المعارف ثم الى حرية الاستنتاج كما هو الشأن في العلوم الطبيعية او البيولوجية او الكيميائية .

سلامة موسى

جنة الشوك (*)

لم نهنأ بهذا الكتاب في عدد المقتطف السابق ووعدنا بنقده وتقديره التقدير اللائق به وبمؤلفه . والحقيقة ان الكتاب نسيج وحده بين الكتب التي ظهرت في العهد الأخير . أما من حيث الاسلوب فهو أسلوب الدكتور طه حسين حيث ينطلق بعض الأحيان انطلاق السهم إذا صدر عن عقيدة ، فان صدر عن تعمل تعثر ومشى يترنح ذات اليمين مرة وذات اليسار مرة ، فيشعرك بأنه يتعمل وأنه يريد أن يصل الى غرض يحاول أن يخفيه محاذراً أن يُسبين ، يقطاً لئلاً تنم عن غرضه كلة أو عبارة ، فاذا اجتاز هذه المرحلة الشاقة للعبرة التي قد تشعرك أن أنفاسه كادت تنقطع فيها ، انطلق مرة أخرى انطلاق السهم ، فهو يفرض على نفسه هذه العبودية لبعض الزمن ، حتى إذا ضاق بها ذرعاً خانته الارادة وضاق صدره بما فرض على نفسه من تلك القيود ، فانفجر كأنما هو حبيس انفرجت عن نفسه أعواد حديدية كانت تكبت مشاعرها وأهواءها ، فراح يمرح في رحاب الحرية ، فلا يلبث أن يظهرك على ما حاول أن يخفي في نفسه ، والطبع مبديه .

وليس هذا الكتاب نسيجاً وحده بين الكتب التي ظهرت في العهد الأخير ، بل هو نسيج وحده بين كتب الدكتور طه حسين . فهو من حيث أنه أدب شيء جديد ، ومن حيث أنه سياسة أسلوب رمزي يغشى عليه الغموض وتضارب المعاني بعض الأحيان ، وينفلت منه زمام الرمزية أحياناً أخرى فيظهر مكشوفاً مفضوح الأغراض . ومن حيث أنه تهكم سبيل قد يقود بعض الشباب أو الكثير منهم ، وهم الذين يتطلعهم المؤلف في المقدمة ، الى مزالق وعرة وإلى اتجاهات خلقية أراد المؤلف أن يحاربها فلم تمكنه الرمزية التي ساق فيها عباراته من اظهار غرضه ، فساق القول بحيث يظهر أنه يؤيد الناحية التي حاول أن ينفيها ، والقادرون من شباب هذا الجيل على استخلاص المعاني المستترة قلائل ، بعد أن غمرتهم موجات الأدب الأصفر المعروف . ومن حيث انه اجتماع فيه دعوة قوية الى الاشتراكية وتوقع الفوارات

(*) من مطبوعات دار المعارف للطباعة والنشر تأليف الدكتور طه حسين ٢١٦ صفحة من القطع الصغير

المحطة . ومن حيث أنه خطة فيه بشارة سافرة بحرب الطبقات . ومن حيث انه عجاء وجرجة في بعض المواضع كأنه الزئبق ، وصارم صافي الحديدة كأنه الشعاع في مواضع أخرى . وجرجة اذا حاول ان يساوم ، وصارم إذا أراد أن يبيع بيع السماح .

***

أما ناحية الادب في هذا الكتاب فلا تخرج عن أنها تجديد في الصورة والوضع . أما الاسلوب فشائع عند العامة في أمثالهم وأقوالهم واشاراتهم الخفية ، إذا أرادوا أن يتمضوا ولا يبينوا . ويكفي أن يوفق الأديب الى الابتكار في الصورة وفي الوضع . فان هذا في الواقع هو الابتكار بعينه . أما القول بأن الابتكار خلق من العدم فإفراط هو في الحقيقة بُعد عن كل انصاف .

أنظر كيف يقول في السياسة : أن فلاناً يطلب الجلاء السريع بعد الحرب ، وانه يطلب هذا حتى يلي الحكم أو يشارك فيه (ص ٦٣) السياسة عندنا يكثرون عند الطمع ويقلون عند الفزع (ص ٦٥) فضرورات أحكامها ، والرجوع الى الباطل أنفع وأجدى من التمادي في الحق ص (٨٩) لم تسند عظائم الامور الى قوم لا يعقلونها ، ولا يقدرون على النهوض بها ، ولا بأيسر منها ؟ لان السياسة كالطبيعة لها حكمة لم نستطع عقول الناس أن تفهم حقائقها بعد (ص ١٠٣) أيُّ وعود الرجال أشبه بوعود النساء ؟ ووعود الساسة حين يطلبون النيابة عن الشعب ، أو النهوض بأعباء الحكم (ص ١٢٨) . قال لبيد (ص ١٥٣) .

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خَلْفٍ كجلد الاجرب

فالى من يرمز المؤلف ؟ من الذين ذهبوا وكان يعاش في أكنافهم ، ومن الذين بقوا وهم كجلد الأجرب ؟ لا ندري ! فقد تقلب المؤلف بين جميع الأحزاب السياسية عملاً بحكمته (الضرورات تبيح المحظورات : ص ٣٤) .

تخيل المؤلف رئيس عصابة فرّق أصحابه قسمين فعاد كل منهم بحصة تختلف عن حصة صاحبه من المسروقات ، وأراد أصحاب القلة أن يساووا أصحاب الكثرة في القسمة ، وهمّ المنصوص أن يجادلوا الرئيس ، فاضطرهم الى الصمت والاذعان ، لانه أنذرهم بأن يرفع أمرهم وأمره الى الشرطة (ص ١٦٥) .... ندرك هنا أن الشرطة مرموز بها إلى الشعب المسروق ، أما من هم المنصوص ؟ فالمؤلف ولا ذلك أعرف الناس بهم . أهم القلة والكثرة جميعاً ؟

فلان يتملق حزب الكثرة وحزب القلة جميعاً ! لماذا ؟ لأنه يحتاج إلى الحزبين ، ولأن الحزبين يحتاجان اليه (ص ١٨٨) فمن هو ذا ؟ تخيل ، ولنا الحق أن نتخيّل ، أنه كاتب

يتصل بالعوام أما الاسم فمنذ رمزية الأستاذ المؤلف ، وهو بالطبع أعرف الناس به أيضاً .

اترك السياسة وانظره كيف يقول في التهكم : أدبتنا الحياة بأن الغم عورات تبيح المحظورات (ص ٣٤) ونحن لا ندري أي ضرب من ضروب الحياة أدبنا هذا الأدب الا حياة الوصولية والانتهازية . وهو ضرب من الأخلاق أجاد المؤلف وصفه في الكتاب كأنه به خبير .

وتب فلان أمس من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال . لماذا ؟ لأنه يئس من رضا الحكام فابتغى رضا الشعب ! ذلك بالرغم من أنه يقال لا معنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس ! فان سُدَّت له أسباب الحياة ودعاه الأمل إلى اليمين ، فوثبة أخرى تردُّه من رضا الحكام إلى ما يريد . وما دام الانسان قادراً على أن يذهب ويجيء ، فلا جناح عليه في أن يذهب ويجيء . أما اليأس فوسيلة لا غاية (ص ٦٤) ..... وفي هذا عبارة تدل على أنه يسمي شخصاً أو أشخاصاً من الحزب الوطني ، وأكبر الظن أن عنه حسين آخر من ينبغي له أن يحملق في هؤلاء .

الحياة قد علمتنا أن الضرورات تبيح المحظورات . ومن المحظورات أن تجهر من جفاء السلطان . فقد تصدُّك صلته عن بعض ما تحب ، وتصرف عنك بعض ما تتمنَّى (ص ٧٤) ويقول إن طريق الرقي في مناسب الدولة إسداء الثناء إلى غير الأكفاء ، وإهداء الحياء إلى ذوي الحَسَناء ، وغض الحصانات والخوض في الأعراض بغير الحق (ولست أدري متى كان الخوض في الأعراض حقاً) وجفوة الصديق وخيانة الخليل (ص ١٠٢) . . فرأيت بما قرأت من شعر كاتول (شاعر روماني ومعنى اسمه الحقيقي قاطُلُس) مقطوعة يهيِّئ فيها نفسه للموت ، بل يحث فيها نفسه على الموت ، لأن فلاناً وفلاناً من مواطنيه قد رَقِيَا إلى منصب القنصل . فأعجبني سخريته اللاذعة ، كما أعجبني قول الشاعر العربي .

تأهَّبْ لحَدَثٍ النازل قد قُرِيءَ الشعر على كامِلِ (ص ١٤٢)

وكامِلٌ هذا ، على ما يظهر ، إنسان أنعم عليه برتبة ومنصب سامي خطير . فمد المؤلف هذا حدثاً نازلاً ينبغي أن يتأهب الناس لدفعه ، لأن كاملاً إذا أصبح منصوراً فعلى ذلك ضياع لفهمي وفهم المؤلف وفهم الناس ولا شك أن ذلك يكون من « حدثان الكبار » كما يقول بشار

إذا صُرف فلان عن السلطان أطلق لسانه بالشر في الناس جميعاً . فاذا وُلِّيَ اليه أطلق

لسانه بالثناء على الناس جميعاً . لأنه يسخط فلا يقول إلا شراً ، ويرضى فلا يقول إلا خيراً ، وقد جعل بينه وبين خير الأمور ، وخير الأمور أوسطها (ص ١٧٥) ..... وهذا الضرب من التهكم غث ولا محالة . فإن محصله إنك إذا توسطت في القدح والثناء ، بحق وبغير حق بالضرورة ، كنت في خير الأمور . وليس في هذا خير على إطلاق القول . ومن هذا وأمثاله مما نقلنا عن الكتاب ، ترى أن ناحية التهكم فيه مضت في صورة تصالح خطيرة النتائج شديدة الأثر في الأخلاق .

وفي الكتاب نزعة اشتراكية وتوقيع لخطوب اجتماعية جسام وفورات عطفة تحرق الأخضر واليابس وتأتي على النائم والقائم . يقول : أعرف أوعية لا تمتلئ وآنية لا تفيض ، هي خزائن الأغنياء وعقول العلماء وجهنم ! ولكن أناة واحداً قد يفيض فيصبح مضرباً للأمثال ، ومصدراً للعبر وبعيد الأثر في حياة الأجيال . ألا تذكر سيل العرم (ص ٣٠/٣١) أما السيل فهو الشعب الثائر ، وأما العرم فقوة الثورة الاجتماعية المحطمة .

قال المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها ... فقد بشمن وما تفنى العناقيد

نامت نواطير مصر عن ثعالبها ، وما زالت هذه الثعالب تأكل وتشرب حتى يدركها البشم فلا يزيدها إلا نهماً ، كأن بطونها تلك الآنية التي أشارت إليها الأساطير اليونانية والتي ليس إلى ملئها سبيل . أما النواطير فقل المتنبي عما أراد بها . أما أنا فأفهم منها الشعب ، وأظنك لا تنكر أن الشعب ما زال نائماً بل غل أن الشعب يتظاهر نائماً . يتظاهر لأنه يعمل ويتألم ، ويتألم لأنه لا يجني ثمار عمله من هذه الثعالب (ص ١٣٦) ..... وفي هذا تصوير رائع لتجاهل الشعب ، كأنما هو يقول أيها النواطير (التي هي الشعب) تنعمي للثعالب التي تمتلئ بسرقتها عن ثمرات ... وإذا أردت المزيد من هذا فاظر ص ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ . ولكن إذا أردت أن تلمس الدعوة إلى أشياء وأشياء فاقرأ ما كتب تحت عنوان « رعيّة » (ص ٩٣) أن الشعب سيد نفسه وأنه مصدر السلطات (حسن) وأنه بذلك هو الراعي وهو الرعيّة (أحسن) بذلك يحدثنا الدستور ، وهو إن لم يصدق الدستور اليوم ، فقد يصدق غداً . واقرأ في (ص ١٩٤) : ما دام في الأرض سادة يتكونون مئات الألوف ، وخدم لا يملكون شيئاً وفرص للهو ينفق فيها المال ، فكل العصور واحدة وإن طال الزمن .

وفي الكتاب هجاء ينتقد المؤلف أنه أحد فنون الأدب ملائمة لعصر الانتقال الذي نحن فيه (وعسى أن لا يضيق بالهجاء ذرعاً إذا كان صادق العقيدة في ذلك) .

ومن أمثلة الهجاء أن فلاناً يرى نفسه ساكناً بالطبع (ص ٧٩) ، والصورة المختارة من المثقفين

تكرم كاتباً يحسن الخطأ أكثر مما يحسن الصواب (ص ٨٥) فلان قاطع الناس غير واحد منهم ، فلعله ينتظر منه نفعاً فهو يسايقيه حتى يبلغ آخر ما عنده ، ثم يلحق بالآخرين (ص ١١٦) ؛ عصر الانتقال : أشد فنون الأدب له ملاءمة في نفحاته (ص ١٢٥) ، من الوزراء من يتخذون زينة (ص ١٢٧) ويقصد المؤلف انهم كالأشياء الأنيقة وإصص الزهور والخزف القديم مثلاً . فلان يخلّط في كتابه عن حياة النبي (صلعم) تخليطاً شديداً ، لأنه عرض لما لا يحسن من الأمر ، وقال فيه بغير علم (١٣٠) ولعله يرمز الى صديق قديم قارضه الثناء ، أو بالحري انهما تقارضا الثناء على صفحات الجرائد زمناً ، فلما وصلا تدابرا ، ولم يبق أحدهما إلا صاحبه عندما فرغت الجعبة ، وقول المؤلف في عبارة « نفع » ص ١١٦ خير ما يقرأ ختاماً لصداقتهما ، وانظر قوله : شعب يجري أمره على جهل الشباب وطيشهم من جهة ، وعلى ضعف الشيوخ وحقهم من جهة أخرى ، هو شعب ناهض يسعى الى المجد بخطو سريع !! (ص ١٥٦) أما المؤلف فليس من الشباب وليس من الشيوخ ، فهو الذي يقول «أنا» إذا سأل سائل : « أليس منكم رجل رشيد ؟ » يرمي نفسه بقوله السلام

وقد يتفق للمؤلف ان يحاول رسم صورة لشخص فيزل ، وإذا به يصور نفسه . . وإذا شئت من ذلك شيئاً فاقرأ «وصول» (ص ٣٧) ، واقرأ «غيره» ص (٩٥) ، فان المؤلف في هذه المقطوعة «خاصّة» قد نمّ عن نفسه بجلاء . فانها تدل على انفعال ذاتي ، لا انفعال موضوعي . والانفعال الموضوعي انفعال يقوم برواية أو خبر تتلقاه ، أما الذاتي فهو ذلك الذي يصوره المؤلف . ودليلنا على ذلك كما أسلفنا مقطوعة «وصول» ص ٣٧ واليك هي :

« لم يكن شيئاً ثم ارتقى حتى صار شيئاً مذكوراً . وقد سلك في تصعيده من الحضيض إلى القمة طريقاً وعرة ملتوية ، يضمرها ضوء الشمس من وراء نقاب من السحاب أحياناً أخرى ، ويحجبها ظلام قاتم فاحم في كثير من أجزائها . فلما ارتقى الى القمة واطمأنّ في مكانه منها ، نسي ماضيه كله ، وأعرض عن مستقبله كله ، وعاش ليومه الذي هو فيه » .

« نسي الماضي فلم يتعظ ، وأعرض عن المستقبل فلم يتحفّظ ، ومضى مع هواه طاغياً باغياً ، حتى أخاف الناس من نفسه ، وأخاف نفسه من الناس ، فلم يأمن إلى أحد ، وإذا هو مضطر الى أن يظهر الحب لقوم يبغضهم أشد البغض ، وإذا الناس من حوله مضطرون إلى أن يظهروا له حبّاً متهالكاً وليضمروا له بُغضاً مهلكاً . واذا الأسباب بينه وبين الناس ترثّ ، حتى ان أيسر الأمر ليفضي بها الى الانقطاع » .

«قال الفتى لاستاذه : لقد سمعت منك ، ولكني لم أفهم عنك ، وإنك لتحدثني بالألغاز منذ حين ، فماذا تعني وإلامَ تريد ؟

« قال الشيخ : إن حب الاستطلاع إن تمم في بعض الوقت فقد يضر في بعضه الآخر ، وما عليك أن تفهم شيئاً وتغيب عنك أشياء ! إنما هي مَرَايا تُنْصَب للناس ، فينظر فيها من يشاء ، وليُعْرِض عنها من يشاء . وربما كان الإعراض عنها خيراً من النظر فيها . فقد ينظر فيها من يحب الاستطلاع مثلك فيسوءه ما يرى ، لأنه يرى نفسه » . انتهى « وصول »

قال دمنة : كان صاحب هذه الصورة حرًّا دستوريًّا ، فشنَّ غارة شعواء على سعد وصحبه من الوفديين في جريدة اسمها « مصر » ، وأخذ الدستوريون يؤيدونه ، حتى إن رئيس وزارة منهم أحدث أزمة سياسية أمام مجلس النواب ، فارتقى بذلك بعض الدَّرج وصَعَّدَ في طريق وعرة ملتوية ، فلما علم أنه تسنم أعلى ما يمكن أن يصعدوه من الدرجات ، انكفأ إلى أصحاب سعد من الوفديين ، وشنَّ غارته الشعواء على الدستوريين عند ما شعر بأنه ليس لديهم درجات يصعدها ، وأمعن في ذلك حتى لقد همَّ بأن يظعن أحدهم ، وهو له أستاذ وكفيل وناصح ، عند ما استقال من الجامعة احتجاجاً على وزارة أرادت أن تسلب استقلال الجامعة ، فارتقى بذلك بعض الدَّرج وصعَّد في طريق وعرة ملتوية . استغفر الله ، انه لم يهم فقط بظعن أستاذه وكفيله ، بل لقد ظعنه بالفعل . ثم ارتد الى الاحرار الدستوريين بعض الزمن لما وجد عندهم درجات يصعِّد فيها ، ثم رجع إلى أنصار سعد ، لما فرغت درجات أصحابه الأوَّلين .

ما هذه المرآة ؟ هي إحدى المَرَايا التي يطل فيها المؤلف ، فيرى صورة نفسه . وما هو الحافز المستتر وراء هذا التقاضي المتبادل بين الناحيتين ، ناحية حزب الكثرة وحزب القلة جميعاً ، وفلان هذا ؟ الحافز أنه يحتاج الى الحزبين ، وأن الحزبين يحتاجان إليه (ص ١٨٨) ها هو ذا مفتاح نفسه . أستغفر الله ثانية ، بل وقفل نفسه أيضاً .

وفي الكتاب مواضع للنقد من حيث الاسلوب ومن حيث التفكير . أما في مجموعه فعمل أدبي يحفز الى تحريك الفكر . وجدير بجهد أدبي يحرك الفكر ، ان يكون له اثره الثابت في الحياة .

جملة القول أن طه حسين قد أعطى بذلك الكتاب مفتاح نفسه ، فاقرأه فيه رمزاً وحقيقة ، وأبين ما تقرأه فيه إذا ضاق صدره بالرموز ، فانه حينذاك يُسْفر ، فتتضح ملامحه . ولله الحمد فقد عرفنا انه اشتراكي ولم نكن نعرف ذلك ، وعرفنا انه يعتقد أن الطعن أدب عصور الانتقال .

الماء

الماء هو العنصر الثاني الضروري للحياة بعد الهواء . فالانسان يستطيع أن يعيش بدون طعام عدة أيام ، ولكنه لا يمكنه أن يبقى في الحياة بغير الماء إلا ساعات معدودات .

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الكريم « وجعلنا من الماء كل شيء حي » لأن حوالي ٨٠ ٪ من تركيب الكائنات الحية على اختلاف أنواعها يتكون منه . والانسان أول هذه الكائنات ، فانه يكون الجزء الأكبر من تركيب أنسجته ودمه وافرازات غدده المختلفة .

والماء الجسم يستعمل دائما في اتمام وظائفه الفسيولوجية . فهو يخرج من الجلد عرقا ، ومن الكليتين بولا ، ومن الرئتين بخار ماء ، ومن الغدد افرازات مختلفة ، كما انه يستعمل في عمليات الهضم من بدء افراز اللعاب على الطعام ، الى التمثيل الغذائي ، ثم نقل الدم والغذاء لأنسجة الجسم المختلفة ، وأيضا في عملية اخراج فضلات الطعام .

ويقتضي أن يعوض هذا الماء المستعمل في وظائف الجسم ، وإلا نقصت نسبة الماء به ، فتتعطل وظائفه الحيوية ، أو تم على وجه ناقص مبتور ، يترتب عليه ضعف الجسم في أعضائه المختلفة . وما الجسم الذي لا يمد بحاجته من الماء ، إلا كغربة جافة ينضبها الوقاد .

وثمة كثيرة من الناس لا يعد جسمها بالماء الضروري لها . فيصابون بفقر الدم ، لأن فقر الماء معناه قلة الدم ، كما يصابون بالامساك لأن الامساك سببه الاحتياج الى الماء ، وتقع أنوفهم وتضعف أعصابهم ، وتنبعث من أفواههم رائحة كريهة . وتتراكم الفضلات السامة الجيوية كالمالحات والمرارة والبكرباس والعصارة الصديدية وغيرها . ويحتاج الانسان الى ثمانية كوباً من الماء كل يوم على الأقل ليعوض ما يفقده الجسم في اتمام وظائفه المختلفة . والماء أعظم منقي للدم ، وهو يمنع تراكم المواد الضارة بالقولون ، ويحفظ الجهاز الهضمي وكذا الأجهزة الأخرى من الجسم صحيحة نظيفة ، مما يكسبها مناعة ضد تلك الجراثيم وسمومها .

« فاشرب الماء بشره ولا تأكل بشره » وهذا نصح كريم من به الرسول صلوات الله عليه في حديث شريف له . وغير نظام لشرب الماء أن تتبع فيه الطريقة الآتية : —

١ — بعد الاستيقاظ من النوم صباحاً اشرب بقدر ما تستطيع بعد أن تغسل أسنانك .

٢ — لا تشرب على الأكل ، حتى لا تسهل طعامك ، ولكن بعده بثلاث ساعات اشرب ما شئت من الماء القراح .

٣ — انقطع عن شرب الماء في الأكل بنصف ساعة ، حتى تعد الجهاز الهضمي للاحساس الطبيعي للجوع .

٤ — اشرب كمية قليلة جداً من الماء في نهاية الأكل ، حتى تليين الكتلة الغذائية .

٥ — اذا شربت الماء مصه كما يشرب الطفل لبن أمه ، واحفظ الماء قليلا في فمك وأنت تشربه .

٦ — اشرب بكثرة ، ولكن كميات قليلة في كل مرة ، وضع في محل عملك ، وفي مكتبك ابريق ماء واشرب كوباً منه بين الفينة والأخرى ، وعود نفسك أن تشرب دون أن تحس العطش .

٧ — اشرب قسماً من الماء قبل أن تنام .

اتبع هذا النظام شتاء وصيفاً ، فلا يصيبك على الاطلاق تصلب في الشرايين ، ولا ضغط في الدم ، ولا اسلام ، ولا حصوات في الكلى ، أو في غيرها ، ولا مسالك بولية ، وما تترتب عليه من أمراض مختلفة عديدة . ولقد سئلت مرة من رجال الصحافة بيلاد الانكليز عما كنت بها أحاول عبور الفاتش عن سر صحتي ، فأجبت « انه من شرب الماء » . فكيف تشرب الماء ، وفي تشربه ، لن من دنون الصحة ، تعلمه مما بينته لك . واذا ذكرت لك الماء كشراب ، فانه لا أنسى ذكره لك ، كأداة لتنظيف جسمك . فعليك بالوضوء والاستحمام حتى يبقى جسمك صحيحا قويا ، لا يعرض غير مرضة الموت .

نعمي عطا الله

القلب وأمراضه

القلب عضو عضلي موضعه منتصف الصدر ، بين الرئتين ، مائلاً الى اليسار على هيئة مخروط قمته الى أسفل ومرتكز على الحجاب الحاجز . وهو يعمل عمل مضخة ماصة — كابسة ، فيجذب الدم من الأوردة ويدفعه الى الشرايين وينشأ من ذلك صوت يدركه السمع يسمى بضربات القلب التي تكون منتظمة في الحالة الصحية ، وبالعكس في الحالة المرضية .

وعلل القلب او آفاته كثيرة ، عسرة التمييز مما تقتضيه معرفتها بد لا يخلى من العلم الواسع والخبرة الطويلة نظراً الى التغيرات التشريحية التي تطرأ سواء على غشائه الباطن (كالتهاب الشغاف مثلاً) ، أو على غشائه الخارج (التهاب التامور) ، او على عضلة القلب نفسه عند ما يصاب بالالتهاب ايضاً . زد على ذلك أنه قد تعتري القلب اضطرابات وظيفية في جهازه العصبي والدوراني دون غيرهما فتسبب للمريض الخفقان وذبحة الصدر (ألم الفؤاد) ، ويغلب حدوث هذه الأعراض عادةً في المتقدمين في السن وتتميز بألم حاد فاخص مع عسر شديد في التنفس وضيق لا يوصف ، ويشعر المصاب كأن الموت قد جاءه ، ويدل ذلك غالباً على علة أصلية في القلب .

ولما كانت علل هذا العضو كثيرة كما قلنا وكان المجال قصيراً لسردها هنا بالتفصيل رأينا أن نكتفي بذكر أسبابها الرئيسية مما تهم القراء معرفته مع قطع النظر عن تقسيمها العلمي على اصطلاح الاطباء .

١ — أمراض القلب الخَلْقية : يشاهد أحياناً في بعض الحالات المورثة أن العوامل المرضية التي تؤثر في القلب والأوعية الدموية وتظهر في الجنين وهو في بطن أمه تستمر بادية فيه حتى بعد الولادة فيقال لها اذ ذاك خَلْقية ، ونذكر من هذه الأمراض الخلقية مثلاً الاتصال غير الطبيعي الذي يوجد بين الأذينين . والواقع انه توجد فتحة بين الأذين الأيسر والاذين الأيمن في حياة الجنين تدعى « فتحة بوطال » ، بيد انها تلتحم في الحالة الطبيعية وتلتصق قبيل الولادة ولا يبقى قط أي اشتراك بين الأذينين . وهكذا قل عن البطينين : فقد يحدث أحياناً اشتراك بينهما مع عدم نمو الصمامات الموجودة بين كل من الأذين والبطين

المجاور له . أو انه يوجد ايضاً ضيق في فتحة الأوعية الدموية الغليظة عند محل اتصالها بالقلب الخ . غير ان هذه التشويهات الخلقية تعد لحسن الحظ نادرة .

٢ — الوراثة : وهي ان بعض الاشخاص يأتون العالم ولا يشكون او لا يبدو عليهم ظاهرياً أي مرض من ناحية القلب ، ومع ذلك فقلبهم هذا ليست له تلك المقاومة المرجودة عند الاشخاص الاصحاء السليمين . ولا يقتصر ذلك على القلب فحسب ، بل يتعداه الى الاعضاء الاخرى من الجسم . هذا وتوجد أسر يكون جميع أفرادها مصابين بضعف من ناحية القلب ، واذا تتبعنا الذريات المتعاقبة من هذه الاسر يتضح لنا انه بالرغم من المظاهر الصحية الخارجية التي يتمتع بها أفرادها ، فالجدة والأم والولد يشكون غالباً اضطرابات قلبية لا يوجد لها سبب او لا يمكن تعليل حدوثها الا بالانتقال الوراثي للمرض .

فكما أنه توجد أمراض شتى تنتقل بالاستعداد الوراثي من الوالدين الى الأولاد كالتدرن مثلاً ، والسرطان والداء الخبيثي والداء الزهري والتهاب المفاصل وعلل الجهاز العصبي (كالصرع والخوريا والفالج والجنون والسكتة) والتشويه الخلقي والصمم والعمم والربو والامفيزيما وداء السكر والشيب والصلع وسقوط الاسنان الخ) ، كذلك تكون الحالة ايضاً في أمراض القلب ، فيولد الطفل وعنده استعداد لهذه الأمراض ، وقد تشتد وتنمو أعراضها بعوامل وأسباب كثيرة متنوعة وتلعب منذ الطفولة الأولى دوراً سيئاً في سير أمراض القلب وتجعل قلب السليم عليلاً . ونذكر في الدرجة الأولى بين تلك العوامل والأسباب الأمراض المعدية .

٣ — الأمراض المعدية : أخص هذه الأمراض ما له علاقة بموضوع بحثنا اليوم هو الرثية المفصلية الحادة والحمى القرمزية والحمرة وذات الرئة وتسمم الدم . أما البرداء (الملاريا) فاتصال القلب بها على ما يظهر يكون أخف وطأة — بعكس النزلة الوافدة (الأنفلونزا) التي تلعب دوراً خطيراً في نمو أمراض القلب واشتدادها ، وعدد كبير جداً من الأشخاص شوهدوا فعلاً مستهدفين لاضطرابات وعلل قلبية خطيرة نتيجة اصابتهم بهذا الداء الوافدي في عام ١٨٩٢ و ١٩١٨ — ١٩١٩ ، ثم في لندن عام ١٩٢٩ حيث تفشى في بقاع كثيرة من الارض وأودى بحياة الملايين من السكان . ولا يفوتنا كذلك ذكر الذبحة Angina الذي وان كانت تبدو لنا أعراضه سليمة الدقة ، لكنه كثيراً ما يؤدي الى الاضطرابات القلبية نفسها . والعوامل المرضية التي تحدث أعراض الأمراض ، وأعني بها الكروبات المعدية ، تعمل على تسبيب الحمى والالتهاب ، وهي إما أن تدخل مباشرة في الدم وتنتشر فيه وتحدث ظواهر المرض ، أو ان تولد فيه مادة تسمى بالتوكسين ، أي السم ، فينتشر في الدورة

الدموية ويحدث أعراض المرض أيضاً . ولما كان القلب كما هو معلوم المركز الرئيس لدوران الدم في الجسم وفيه يجب أن تمر كل الكتلة الدموية ، فيكون بطبيعة الأمر متأثراً بسموم تلك الجراثيم والمكروبات ومفاعيلها الضارة تأثراً بليغاً — وهذا ما يؤول الى احداث التهابات وتقلصات والتصاقات وعلى الخصوص في الصمامات، حيث يكون مفعول تلك المكروبات شديداً لدرجة ان هذه الصمامات تغدو غير كافية أو عاجزة عن القيام بعملها كما ينبغي بالدقة المطلوبة مثلما يجب في الحالة الطبيعية ؛ أي سدّ فتحات القلب وتأمين سير الدم وانسيابه ومنعه من الرجوع الى الوراء . فضلاً عن ذلك فعضل القلب نفسه قد يتهدف بدوره للمرض عند ما تحدث تلك الأمراض المعدية في الصغر : ففي هذه الحالة يبقى المصاب مريضاً الى النهاية . ولحسن الحظ ليس لمعظم العلل المذكورة تلك النتائج السيئة على القلب ، حتى الرثية المفصلية (الروماتزم) نفسها تترك القلب غالباً صحيحاً سالماً، بفضل العناية والمداراة والحمية اللازمة .

٤ — اضطرابات القلب من أصل عصبي : يجب أن نذكر هنا ما للسن (من السن السادسة الى سن العشرين) عند الطلاب خلال مدة الدراسة من التأثير السيء أيضاً على وظائف القلب والذي يعود منشؤهُ الى الجهاز العصبي ، ويمكن القول هنا ان أسباب هذه الاضطرابات القلبية هي نفس الاسباب التي تؤدي الى حدوث العصبية والتهيج والنوراستنيا في تلك السن . وقد يكون للتربية السيئة تأثير يذكر على حياة الطفل العصبية حتى في دور الرضاعة . وهكذا قل من الاجهاد العقلي السابق لأوانه ، وعدم كفاية النوم ، والافراط في الأكل ولاسيما الاكل الدسم الذي يلقي على القلب والمعدة أعباء تؤدي الى اختلال الجهاز الهضمي والدورة الدموية . أما عند الشبان والكهول فان الحياة الجلوسية ، واهمال الرياضة البدنية ، ومشقة الاعمال المنهكة ، والطعام غير الكافي و لمكوث ساعات طويلة في الكتابة والانحناء على البيانو ، والتدخين واحتساء الخمر والسهرات الطويلة المتكررة والاسراف في الشهوات وعلى الخصوص اضطراب البال ، تكون سبباً في احداث كثير من الامراض العصبية والصدرية والقلبية . وكلمة واحدة كل ما يُتعب أو يسبب تهيجاً للجهاز العصبي له أبلغ التأثير على القلب وجميع الذين يشكون اضطرابات من هذه الناحية في سن الكبر، يجب أن يُعزى منشؤها الى سن الصغر في غالب الأحيان . ومن النادر أن الامراض المعدية الحموية في هذه السن، يكون لها تأثير يذكر على القلب .

٥ — الرمع (الخلوروس) Chlorose : هو نوع من الانيميا لهُ بدوره أهمية كبرى في احداث كثير من الاضطرابات القلبية وسببهُ تبديل في تركيب الدم وأعني بذلك نقص

مقدار الهموغلوبين (اليَحْمُور : وهي المادة الملونة للدم) التي تحتويه كريات الدم الحمر ، ويتسبب نقص اليحمور نفسه عن نقص الحديد في الدم

وهذا المرض غالباً ما يصيب النساء وعلى الأخص الفتيات أو الشابات، إما من سوء المعيشة أو من أسباب عامة أو شخصية مضادة للصحة أو من كثرة الحمل وزيادة الإرضاع. وهذه الحالة كثيراً ما تكون مصحوبة باضطراب الطمث . والناظر للمصاب يراهُ شاحب اللون إلى الاخضرار ، مصفرّ الشفتين وملتحم العين الجفني ، ويشعر غالباً بالضعف والتعب وفقد الشهية للطعام وخفقان القلب ودوار الرأس أحياناً وأغلب ما تشاهد هذه الحالة المرضية عند المعدمات الفقيرات الحال : كالخادمات والعاملات في المصانع والبائعات في المخازن والطاهيات والكوّايات repasseuses الخ . ويحدث أحياناً لحسن الحظ أن تزول هذه الأعراض شيئاً فشيئاً بعد مدة من الزمن باتباع القواعد الصحية وحسن التغذية وتبديل الهواء واستعمال بعض المستحضرات الطبية كالحديد أو الكينا مع الحديد والزرنيخ وزيت السمك الخ فينال المصاب الشفاء التام

٦ — الاجهاد : ولا يبرح عن الذهن أيضاً ما لبعض الرياضات البدنية في أيامنا هذه من التأثير الفعال على وظائف القلب عند ما تكون هذه الرياضات منبعثة شاقة وبقدر ما تكون الرياضات البدنية مفيدة لذيذة جذابة (كالركض والمشي بسرعة والسباحة وتسلق الجبال الخ) عندما يمارسها الانسان باعتدال ، تكون بالعكس مضرّة ومسبّبة لتضخم القلب وضعفه عند ما يساء استعمالها . ويكفي أن يعتري المرء الاجهاد مرة كي يبقى أثر ذلك فيه مدة طويلة من الزمن .

ولا يفوتنا كذلك ما للافراط في التدخين في وقتنا هذا من التأثير السيء في إحداث مثل هذه الاضطرابات ، ولا سيما اذا قرون بضروب الملذات الأخرى في الشبيبة والانهماك في الرغبات الجنسية .

فقد أحصى العلماء ١٩ نوعاً من السم في الدخان وكل نوع منها له مفعول فتّاك ، ولا سيما النيكوتين وأوكسيد الكربون وحامض البروسيك والبيريدين . فهي سموم مفسدة للقلب وهادمة للصحة ، مضعفة للارادة مخدرة للاعصاب ، مسبّبة لأمراض الحلق والصدر ومساعدة على الاصابة بالسل . وبالاجمال نقول إنها تقتل حيوية الانسان وتقلل من مقاومته للأمراض .

وتأتي أيضاً في دورَي الشيبة والكهولة عواملُ أخرى تؤثر بدورها في إحداث أمراض القلب أو اضطراباته ، ومَصْدَرُها المشقة التي يعانيها الانسان في مكافحة صعوبات الحياة ،

والمسؤوليات الكثيرة ، والاضطرابات ، والهموم اليومية ، وارتفاع تكاليف الحياة ، وازدياد المنافسة مع تناقص الدخل الذي يضطر الرجال أن يُقبلوا على العمل الفني بكل قواهم خوفاً من يحمّوه المستقبل . علاوة على ذلك : كثرة التفكير في الامور التالية للحصول على الذهب خصوصاً عند الذين تهمهم أسعار البورصة ، ثم المجازفات التجارية الجامحة التي تؤدي الى الاجهاد العقلي والانهيار العصبي . فهذه كلها لها تأثير فعال أيضاً على حالة القلب العصبية . وفي غالب الاحيان تكون هذه العوامل مجتمعة . فبعض الاشخاص مثلاً يضاف الى أتعابهم الجسمية المنهكة ، الافراط في تناول المشروبات الكحولية . والبعض الآخر ، رغم الذين تكون حالتهم العقلية متوترة بالمسؤوليات الكبرى والاضطرابات المستمرة ، يضاف إليها الاسراف في الملذات والشهوات الجنسية .

وأخيراً قد تتسبب أمراض القلب من إجهاد الجسم ولو مرة واحدة عند ما يقوم بعض الاشخاص فجأة بتمارين رياضية دون أن يكونوا معتادين عليها أو ممارسين لها : كتسلق الجبال والجولات الطويلة وما شابه ذلك من الرياضات التي تتطلب مجهودات عضلية عنيفة فوق الطاقة .

٧ — المشروبات الكحولية : لا يخفى ما لتأثير هذه المشروبات في الجسم واضرارها بصحة الانسان . فقد أجمع رأي المدققين من جماهير الأطباء وحكماء وعلماء الاجتماع من ذوي العقول السليمة والآراء الصائبة على مضار المسكرات جسماً وعقلاً ، بتركها مدمني هذه المشروبات فريسة لجيوش العلل والاسقام كأمراض القلب والدماغ والمعدة والكبد والصدر وحالات سوء الهضم والهزال والجنون والشلل وتليفه [illegible]
الآفات والاضطرابات . و « القوة » التي يعتقد بعضهم انها تأتي من تعاطي المشروبات الروحية ليست إلا وهماً خداعاً . وقد اتضح بالتجارب العديدة ان شارب الخمر أقل من غيره اقتداراً وكفاءة على الاستمرار على العمل لما يعتريه من الخمول والانحطاط في القوى والميل الى التشرد وخيانة الأوامر وفقدان قوة المقاومة وجعل الجسم أشد قبولاً للامراض الوبائية . هذا ذلك فقلب شارب الخمر يكون أسرع في دقاته ويزيد مقدار الدم المقذوف في وقت معلوم ، وهذا يسبب تعب القلب .

وقد أيدت التقارير الموثوق بها ان للجعة (البيرة) بصورة خاصة ، إذا أكثر الانسان من تعاطيها ، أسوأ التأثير على القلب وتحدث فيه اضطرابات أشد مفعولاً من مفعول الخمر والكحول .

٨ — السن : لتقدم السن ، ولاسيما الشيخوخة ، تأثير مهم أيضاً في احداث الاضطرابات

القلبية المشار اليها حتى عند الأشخاص الذين عاشوا عيشة منتظمة ولم يجهدوا قلبهم بشغل فوق طاقته . أما منشأ هذه الاضطرابات فهو تصلب الشرايين الذي يصيب القلب ولاسيما الشرايين ، فتضعف هذه الأوعية الدموية شيئاً فشيئاً وتفقد لمعومتها ومرونتها ثم تحترقها بعدئذٍ الأملاح الكلسية فتصير صلبة . وفي الدور المتقدم من المرض يمتد ترسيب الجير ليس إلى جدران الأوعية فحسب بل وأيضاً الى الأغشية المبطنة للقلب والأضرار التي تحدثها هذه الحالة تجعل الشرايين أخيراً سريعة العطب والانكسار وقابلة للانفجار . أو أن تصاب جدرانها بالسماكة والتصلب لدرجة يتعذر مرور الدم فيها — الأمر الذي يترتب عليه أضرار بليغة واضطرابات خطيرة، غالباً ما تؤدي الى الوفاة.

ويحمل القول ان القسم الأعظم من أمراض القلب واضطرابات الدورة الدموية التي تحدث في النصف الثاني من حياة الانسان، يكون مرتبطاً بتصلب الشرايين .

***

أنواع أمراض القلب وتشخيصها

بعد ان بينا في ما سبق من الأسباب الرئيسة لاضطرابات القلب او أمراضه بقي علينا ان نذكر هنا أنواع هذه الأمراض وتشخيصها وهذه الأنواع كثيرة متعددة لا يتسع المجال هنا لشرحها بالتفصيل ولذا نكتفي بذكر أهمها وهي : تضخم القلب . التهاب الشغاف (باطن القلب) وعلل الخصوص التهاب الصمامات . تمدد القلب . حؤول (أو تنكس) القلب الشحمي Dégénérescene graisseuse . التهابات عضلة القلب الحادة والمزمنة . التهاب التامور (غشاء القلب الظاهر) ثم أمراض القلب الناشئة من أصل عصبي .

ولنقتصر الآن في ما يختص بتشخيص أمراض القلب وتعيين محل علله وماهيتها وأصلها وتمييزها الخ . فهذا كله لا يتأتى الا بعد البحث الوافي والاستقصاء والتروي . ولما كانت معرفة ذلك تابعة بالكلية لتمييز المرض أولاً ، كان التشخيص في المقام الأول من واجبات الطبيب ومداراً لمداواة المريض، والتصرف مع أهله الذين يريدون استعلام العلة ومدتها وعواقبها . وللاطباء كما هو معلوم طرق خاصة لمعرفة أمراض القلب نذكر منها أولاً : « الطرق » أو « القرع » percussion الذي ابتكره الطبيب النمسوي Avenbrugger في عام ١٧٦١ فرأى أهميته وقد الفه وعمل على تعميمه فانتشر استعماله في المانيا بواسطة Skoda وتلامذته ،

ثم انتشر بعدها في فرنسا بواسطة Laennec و Barth و Roger و Peter و Lasègue و Grancher وغيرهم . وبفضل هذه الطريقة في فحص المريض يمكننا ان نرسم دائرة القلب على الصدر ونعرف تغييرات حجمه مع حالة الآذينين والبطينين . وقد ساعد على تأييد التضخيم بالنظر استعمال أشعة إكس المجهولة في العلب ويكفي لذلك فحص ظل القلب المنعكس على الحاجز écran . أما ما يختص بفحص ضربات القلب بالسماع Stethoscope فهو معروف ولا يحتاج شرحه أيضاً الى تبيان . فقد كان اكتشافه للمرة الأول في عام ١٨١٩ بواسطة Laennec و Stokes و Skoda و Barth و Bouillaud و Trousseau و Potain الذين عمموا استعماله ووصفوه وصفاً مسهباً . فبفضل السماع يمكننا ان نتأكد مما إذا كانت ضربات القلب طبيعية أو غير طبيعية ، أو اننا نسمع بالعكس نفحات أو احتكاكات كما هي الحالة في أمراض الصمامات أو التهاب التامور . فاذا حدثت مثلاً نفحات Souffles بدلاً من « تيك تاك » الطبيعية كان ذلك دليلاً على اصابة الصمامات بالمرض أو على نقص في عملها كما هي الحالة في الاصابة بالتهاب الشغاف (باطن القلب) . فتجاويف القلب التي يجب أن تغلق اغلاقاً محكماً ، يغدو هذا الاغلاق في حالة التهاب الصمامات ، ناقصاً ، فيتسرب الدم حينئذٍ مجرى غير طبيعي . وقد تصاب الصمامات أيضاً بالضيق والانكماش على أثر بعض العوامل الالتهابية مما تؤول نتيجته إلى حدوث موجات أو دفعات دموية ، عند كل انقباض في القلب ، ويكون حجم هذه الموجات والدفعات ناقصاً .

* * *

وأخيراً يجب أن نذكر بعض الأمراض عند المصابين بالاضطرابات القلبية مثل الخفقان والتشنج والثقل أو الضغط في منطقة القلب مع الشعور بالألم عند قمته في موازاة حلمة الثدي وهي اضطرابات وظيفية محضة منشؤها جهاز القلب العصبي والدوراني . ومن النادر أن يهتم المريض بمعرفة سبب أو أسباب هذه الاضطرابات ، بل كل ما يهتم به هو أن يعرف كيف ينظم حياته وفقاً لحالته الصحية الراهنة . وربما تطرقنا في مقالنا المقبل الى ذكر النصائح الواقية لاجتناب مثل هذه الاضطرابات القلبية للاسترشاد والعمل بها أتماماً للفائدة .

الدكتور عبده ناصر
طبيب مستشفى الميناء والملاحة بالفاو : العراق

الاحلام والروح

تحت هذا العنوان قرأت في مقتطف ابريل ١٩٤٥ مقالاً لحضرة الأديب الاستاذ احمد فهمي ابي الخير واستخرجت ما فيه من اقوال لا تقف لدى محك العلم الحديث الذي لا يثبت أمامه شيء مما يخرج عن دائرة الطبيعة . والعقل لا يقتنع بأن وراء الطبيعة شيئاً غيرها إذ ليس ثمت ظاهرات تدل على وجود شيء وراءها

يقول الأستاذ ابو الخير : « الانسان في الواقع جسد ونفس وروح »

اما انه جسد فهو (كما قال) ما نرى ونلمس . واما انه نفس وروح، فليس في ظاهراته ما يدل على شيء يسمى نفساً او روحاً . والنفس والروح في امتناء لفظان مترادفان لشيء لا نعرف ما هو ، ولا تعريف علمي له ، ولا أدلة حسية على وجوده

على ان الذي نعرفه جيداً ، ويعرفه كل بشر عاقل هو ان الانسان مؤلف من ثلاث مقومات : جسد ، وحياة ، وعقل . اما الجسد فمادة محسوسة بالحواس الخمس لا شك في وجودها . واما الحياة فعمل كيماوي من اعمال المادة . وهذا العمل يظهر لنا في توالد الاحياء ونموها وموتها وفي تحركها ايضاً . هذه هي ظاهرات الحياة في الانسان والحيوان والنبات . واما العقل فهو ايضاً عمل فيزيولوجي من اعمال خليات الدماغ ، وظاهراته التصور والتخيل والتذكر والاستدلال الى غير ذلك مما يسميه علماء العقل « القوى العقلية »[1]

الجسد يرتد بعد الموت الى عناصره الكيميائية التي تؤلف منها . وحركة الحياة تبطل بعد الموت باضمحلال الآلة التي كانت تتحرك بها ، كما ان سير السيارة يبطل بتلف المحرك وسائر ادوات السيارة . وكذلك العمل العقلي يبطل بطلاناً كلياً بعد الموت بتوقف حركة الحياة في الدماغ . ويمكن ان يتوقف العمل العقلي برهة بتوقف حركة الخليات الدماغية الوقتي : إما بفعل المخدر او المسكر او النوم العميق الذي يرتاح فيه الجهاز العصبي كله من العمل . وليس النوم بالسر

(١) راجع مقال « عالم المجهول » بمقتطف مايو ١٩٤٥

العويص الذي يحتاج الى تفسير . فما هو إلاّ هذه الراحة . وأما كيف يحدث في كتب الفسيولوجيا تعليل واضح له

غير هذه المقوّمات الثلاث لا نرى في الانسان مقوّماً رابعاً يسمى روحاً او نفساً أو أي اسم آخر . وما طرأت فكرة الروح على الانسان الاول الاّ لما صار يرى الاحلام ويتذكرها . فكان اذا رأى في المنام طيف ابيه الميت ثم تفقده في الصحو في رمسه ولم يجد الاّ جيفة متهدمة ، يحار في فهم هذا الطيف وفي تفسير سره . فكان يظنه شيئاً موجوداً حقيقة . ولكنه لا يفهم سره . فسماه روحاً او نفساً . وأخيراً لما نبغ الانسان في العلم ، صار يفهم ان هذا الطيف الذي يراه في الاحلام او في الرؤى التخيلية ما هو الاّ خيال من اختراع المخيلة لا يخرج عن كونه عملاً من اعمال خليات الدماغ . فعالم الاحلام والارواح هو في كرة الدماغ وليس في خارجها البتة .

***

نحن نعترف بوجود مادة الجسد لاننا نشعر بها . ونعترف بوجود الحياة لاننا نحس بظاهراتها كالتوالد والنمو والموت ، وان كنا لا نزال نجهل سر الحياة . ونعترف بوجود العقل لاننا نحس او ندرك أفعاله كالتصور والتذكر والاستدلال الخ . ولكننا لا نحس بوجود ظاهرات تدلنا على وجود شيء رابع فينا يسمونه روحاً .

وكذلك نسأل الذين يدّعون انهم يستحضرون الارواح او يحاولون اثبات وجودها — نسألهم ان يخبرونا «ما هي الروح»

لا نستطيع ان نثبت لي وجود شيء قبل أن تخبرني ما هو هذا الشيء الذي تريد أن تقنعني بوجوده .

يقول حضرة الاستاذ ان النفس (او الروح) جسم اثيري مطابق تمام المطابقة للجسد المادي خليةً خليةً . يعني ان للانسان بدنين متداخلين بدن مادي مؤلف من عناصر كيميائية وبدن أثيري مؤلف من الاثير . وبحسب هذا الزعم يمكن أن ينفصل البدنان الواحد عن الآخر : إما بالموت وإمّا في الحياة بظروف خاصة . فمع أي البدنين تذهب الحياة ؟ ومع أيهما يذهب العقل ؟ أم ان كلاً من الحياة والعقل ينشطران شطرين بين البدنين .

وما لنا ولهذا التفنيد في الزعم . نسأل الزاعمين ما هي الظاهرات المحسوسة الدالة على وجود بدن اثيري متغلغل في البدن المادي ؟ — لا ظاهرات البتة .

بل قبل التماس الدليل على البدن الأثيري نطلب اثبات وجود الاثير نفسه . الأثير نفسه لا ظاهرات له البتة ، تدل على وجوده . وقد حاول احد العلماء الكبار هو ميكلسن اكتشاف

سرعة الأجرام في الأثير بعملية حاذقة . فأخفق . لان العملية اسفرت عن عدم وجود اثير . وكانت عمليته هذه سبباً في اكتشاف اينشتين ناموس النسبية .

وقد افترض علماء القرن الثامن عشر وجود مادة خفيفة لا وزن لها تملأ الفضاء قابلة للتموّج سموها اثيراً ، لكي يعللوا بها بعض ظاهرات الطبيعة . فكون فرض الاثير يسهل تعليل بعض الظاهرات الطبيعية، لا يثبت وجود الاثير . لانه متى امكن تعليلها بدونه يسقط . ولذلك لما امكن اينشتين وغيره من العلماء ان يفسروا اكثر تلك الظاهرات من غير الاستعانة بالأثير، قالوا استغنينا عن فرض الأثير .

الأثير مفروض فرضاً ولا برهان حسي عندنا على وجوده . ومادام لا برهان حسي عندنا على وجوده ، فلا قيمة للزعم ان للانسان بدناً اثيرياً وهو النفس او الروح .

وبناءً على ما تقدم لا قيمة لدعوى بعض الروحانيين انهم استطاعوا تصوير هذه الأرواح الأثيرية أو هذه الابدان الاثيرية . ولا قيمة لكل ما يقوله بعض الناس المحسوبين علماء مما ذكروا من أدلة وبراهين وما ادعوه من مشاهدات وشواهد لزعمهم من رؤى وأحلام ذات شأن . لأن الاساس الذي يبنون مزاعمهم عليه وهو الأثير لا وجود له او على الأقل لا اثبات لوجوده . وما تلك المزاعم والرؤى والأحلام الاّ اوهام في الادمغة فقط . واما إذا راموا ان يفرضوا فروضاً ويؤيدوها بدعاوى مشاهدات ورؤى واحلام، فيمكن اعتبار جميع خرافات العوام السذج ايضاً مشاهدات تؤيد تلك الفروض وتؤيد ما تشاء من الوف الفروض التي لا نهاية لها .

الانسان يستطيع ان يعلم كل ما يدخل الى دماغه عن طرق مشاعره الخمسة ، وجميع حواسه الباطنة ، ومدركاته العقلية مستمدة من معلومات تلك المشاعر ومستندة اليها . ومشاعره لا تحس الاّ فيما هو من طبائع المادة فقط . لا تحس شيئاً خارجاً عن المادة . وبذلك لا يمكن ان يعرف العقل شيئاً خارجاً عن المادة . فان كان الأثير ضرباً من الهيولى (اصل المادة) مهما كان لطيفاً، فلا بد من ان تحس به حواسنا ولو بطريقة غير مباشرة كالكهربا والمغنطيسية والجاذبية . وحينئذٍ يقع تحت حكم العقل وتصرف قواه . واذن فالبدن الأثيري بهذا الاعتبار ليس إلاّ مادة قابلة التغير والانحلال والتفكك ، ولا يمكن هذا ان يتصرف تصرفاً مخالفاً لنواميس المادة . فلا يمكن ان يوجد في مكانين في وقت واحد، ولا يمكن أن يتمرد على الزمان والمكان . فلا يمكن أن يكون في الماضي والمستقبل معاً . ولا يمكن أن يعمل عملاً خارقاً مما ينسب الى الارواح من الخوارق .

نقولا الحداد

(٤) في رواية أهل الكهف يصرخ « هرموش » في وجه صاحبه قائلاً « كفى هراء، ولدي قدمات ولا شيء يربطني بهذا العالم ، هذه الحياة الجديدة لا مكان لي فيها » فيجيبه صديقه قائلاً بعد حوار « لا تفكر في هذا ، عد كما كنت أمس ، واسخر مما تسمع ، هاته الأعوام الثلاثمائة إن هي إلا كلمات وأعداد وأرقام ، ماذا تستطيع الأرقام أن تغيّر من احساسك بالحياة » .

وفي قصة الالتفات إلى الوراء يعود بطل القصة الى « البدروم » يجيل الطرف في نواحيه فيناجي نفسه قائلاً : هاهو ذا مكاني الوحيد، هاهو ذا المكان الذي احتواني قبل ثمانية عام فلا بق فيه إلى الأبد ، لقد مات الماضي ، ولم يعد لي مكان ولا معنى في الوجود ، لا أنا ميت مع الأموات ولا حي مع الأحياء

(٥) في رواية أهل الكهف يودع « مشلينا » الأميرة « بريسكا » الوداع الأخير قائلاً : « الآن أرى نصيبي وأحس بعظم ما نالني ، لا يموش ولا يمليخا » . وزنا بمثل هذا ، إن بيني وبينك خطوة ، بيني وبينك نصف ليلة ، والليلة أجيال (كذا) أمدّ يدي إليك وأنا أراك حية أمامي فيحول بيننا كائن جبار عجيب هو التاريخ».

وفي قصة الالتفات إلى الوراء يدور حوار بين بطل الرواية وبطلتها يقول الأول فيه « إني لأشعر بالوحشة الجاثمة على صدري . أليس موقفي من الحياة أشد وأعجب من موقف أي إنسان على الأرض ؟ موقف تُشل الألفاظ وتستفلج الكلمات في وصفه ، فلم لا أكون مستوحشاً ومستهجناً كل شيء حتى وجودي وتسمي أيضاً » ويقول لها « إن لطفك ودعتك وحنانك تكاد تنسيني حقيقة الأمر الواقع . وتكاد توهمني ان في طوقي الاندماج في جيلكم ونسيان الكائن التاريخي العجيب فأكون مثلكم أشعر بمثل ما تشعرون ، ولكني سمعت خطبة في الذياع[1] دار مذيعها البارع حول قصتي أقنعتني أن من العبث إزالة الوهم منزلة الحقيقة . إذن ما أبعد الشقة بيننا ، بل ما أبعدها بيني وبينك».

(٦) يجد « مشلينا » أحد أبطال أهل الكهف في عنق الاميرة « بريسكا » الحفيدة ذات الصليب والسلسلة الذهبيين اللذين أهداهما إلى « بريسكا » الجدة

وبطلة قصة الالتفات الى الوراء تجد في عنق بطل الرواية سلسلة ذهبية فيها ايقونة بداخلها صورة جدتها خطيبته

(٧) في رواية أهل الكهف يقول المربي « غالياس » للاميرة « بريسكا » تنبأ عرّافه ساعة مولدك بأنك ستشبهين ابنة الملك دقيانوس الأميرة المقدسة خلقاً واعاناً، فتسأله بلهفة:

(١) تنبأ مؤلف قصة الالتفات الى الوراء بالمذياع منذ عام ١٨٨٧

«ترى هذا الرأي فقد صدق ، أو تراني أشبهها حقيقة ؟ ما أنفاك يا غالياس ، انك لا تعلم مبلغ وشيء في صورة تلك التي يزعمون اني أشبهها . أصحيح يا غالياس ان هذا العليب الذهبي الذي اتخذه في جيدي منذ الطفولة كان صليبها » ؟

وفي قصة الالتفات الى الوراء تقول والدة بطلة الرواية لبطل الرواية « تدعوك ظروف الحال وسرعة تقلبه الى معرفة من هي ابنتي وما هو سرها ، فأنا أقول لك انها بنت حفيدة خطيبتك وانما أسيناها باسم جدتها البعيدة تيمناً بذكراها ، فلما كبرت ابنتي أخذت تبحث عن كل شيء له علاقة بجدتها ، وكان في جملة ما وجدته في متروكاتها خطابات منك لجدتها وصورة لك احتفظت بها ، كما وجدنا في عنقك سلسلة ذهبية فيها أيقونة عليها صورة خطيبتك الجدة » .

(٨) في رواية أهل الكهف تخاطب الأميرة بريسكا قائلة ان ابنة دقيانوس الاميرة القديسة كانت تقول كثيراً أوهمها على الروايح انها مرتبطة بعهد مقدس لن تحنثه .

وفي قصة الالتفات الى الوراء قالت والدة بطلة الرواية عن ابنتها « لقد أقامت خطاباتك لجدتها صورة لك في ذهنها ولذلك كانت تقول انها عاهدت النفس ألاّ تتزوج إلاّ اذا عثرت على رجل يضارعك في النبل وسموّ الأخلاق .

(٩) تستيقظ عوامل سعادة الحياة ، ويشع الفرح في نفس بطلة قصة الالتفات الى الوراء سنة اكتشاف شخصية الرجل الذي أحبّ جدتها بأمانة واخلاص فترتمي بين ذراعيه تهبه قلبها وتقول له « كنت أعتقد أحياناً ان روح جدتي يستقر فيّ . وكثيراً ما كنت أتوهم أني هي ، وهي أنا ، وان لا أحداً منا يعرف من هو الآخر .

وفي رواية أهل الكهف تقول بطلة الرواية لبطلها « انك تمزج شخصيتي بشخصية جدتي ، انك لا تراني أنا ، بل تراها هي فيّ ، نعم وجدت ورأيت وأحببت كل ما هو لها »

(١٠) تعود به الى الكهف تبحث عنه بين الجثث فاذا به يرد صوتها بصوت خافت فتأخذ رأسه بيديها وتدنوه بلهفة جنونية الى الحياة قائلة « عش » عش لي لا تمت ، اني أحبك » فيجيبها « لا نفع الآن بعد أن فعل الزمن فعلته ، فتقول « ان القلب أقوى من الزمن » وان ليس يهمها أن يكون حبه مصوباً الى الأميرة جدتها التي تشبهها وتقول من يدري لعلي هي ان هذا الشبه ليس مصادفة ، ومقابلتنا ليست مصادفة كذلك ، انك بعثت لي وبعثت أنا لك بعثاً من نوع آخر » .

وفي قصة الالتفات الى الوراء تخاطب بطلة القصة بطلها قائلة « ألست تعتقد أن الروح يعود أحياناً الى هذا العالم ليتم العمل الذي كان قريباً من غاية الوجود ؟ أقول لك اني كنت

مهداة الى محمود تيمور

... الى الوراء

كنت أحسب أني فرغت من تقرير مسألة رواية « أهل الكهف » لصنعها صديقنا الاستاذ توفيق الحكيم حين قلت ، بعيد ظهورها ، انها مأخوذة من كتاب اسمه « الالتفات الى الوراء » لمؤلفه ادوارد بيلامي طبعة « توخنتز »

Looking Backward, (١) by Edward Bellamy. Collection of British Authors Tauschnitz Edition, vol, 2690, 1887 — 1890.

وما كان يخطر لي ببال انك ستقف مني ، بعد سنوات عدة ، لتقول لي انك غير مقتنع بعد ، من صحة ما ذهبت اليه في أمر هذه القصة ، وحجتك في عدم الاقتناع ، انك لم تجد الكتاب الانجليزي في مكاتب القاهرة ! !

أما ان الكتاب موجود او غير موجود في مكاتبنا فهذا امر لا يعنيني ، لأن الناقد ليس مكلفاً باقتناء عشرات من نسخ كل كتاب ينقده أو يستند اليه في نقده يقدمها لكل أديب يطيب له الاطلاع عليها ليتأكد من صدق دعواه ، بل هو مكلف باقامة الدليل . والذي يهمني قبل كل شيء هو معرفة انتشار روح الجد في العمل عند الأدباء ، وميزان الصدق عندهم في التحري والتنقيب توصلاً الى الحقيقة .

تعلم يا صديقي أن السرقات الأدبية ، وان تنوعت أوصافها ، تختلف باختلاف أمزجة السارقين ، ولعل أفضح السرقات الأدبية تلك التي ينتزعها الأديب من أماكن يتوهم انها مجهولة ومظان منسية ، فيقدمها على اعتبار أنها من طهي دماغه وعصارة تفكيره ، واليك الآن أدلة مقتطفة من الكتابين للمقارنة بين ما هو وارد في كتاب « الالتفات الى الوراء » وبين رواية « اهل الكهف » .

أفعل ذلك وأنا افرض بحسن نية ، انك قرأت رواية « اهل الكهف » وهكذا يحسن اطلاعك على ملخص وجيز لرواية « الالتفات الى الوراء » لتقبض على طرفي الحبل ، كما يقال ، ولا اقول لسماع كلام المحسنين لأن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم سكت سكوتاً طويلاً على التهمة التي ألصقتها به ولم يدفعها عنه ، ولكنه قال لي مرة انه لم يقرأ كتاب « الالتفات الى الوراء » ؟.

(١) طبع في امريكا حديثاً باسم Modern Library No 22

شاب من الأثرياء مصاب بالأرق ينوّم كل ليلة تنويماً مغنطيسيًّا على طريقة الپسمار يزم، أحبّ فتاة واتفق معها على البناء بها، وقبيل حفلة الزواج اشتعلت النار في المنزل الذي كان يسكنه، فأكلت كل شيء فيه ولكنها لم تمس « الى البدروم » الذي اتخذه هذا الشاب مأوًى له لبعده عن الجلبة والضوضاء، وقد ظنّ أن الرجل مات احتراقاً.

تُترك البيت المحترق المنهدّم مدة مئة عام أو أزيد، ثم صحت عزيمة جيل من الورثة على اعادة بناء هذا البيت، وعند ما فتح « البدروم » وُجد فيه جثمان ذلك الشاب مسجى في سريره وان جانبه اوراق تدل تواريخها على انصرام مئة عام وأزيد، وان الشاب انما هو نائم نوماً مغنطيسيًّا. هنا تبتدىء حوادث الرواية وتنجلي مواقفها بالمقارنة.

(١) بطل قصة الالتفات الى الوراء ينام مئة عام وأزيد نوماً مغنطيسيًّا ويستيقظ استيقاظاً علميًّا.

وأبطال « أهل الكهف » ينامون ثلاثمائة عام ويستيقظون بدل ربهم.

(٢) بطلة الالتفات الى الوراء فتاة غنية أحبها فتى فقير عز عليه ان يراها إلا ان كارثة الحريق التي نزلت ببيته جعلتها تعتقد انه مات فحزنت عليه وارتدت ثياب الحداد مدة أربع عشرة سنة وبعدها تزوجت.

وبطلة أهل الكهف أميرة اعتنقت النصرانية حبًّا بشاب نصراني يعمل في ديوان أبيها الملك الوثني، فلما لجأ الشاب الى الكهف هرباً من فتنة اشتركت فيها تلقاء والدها وانقطعت أخباره عن الأميرة، فارتدت الصوح حزناً عليه.

(٣) في رواية أهل الكهف يذهب « مليخا » بعد يقظته الى أسواق طرسوس ثم يعود فيقصر على صاحبه ما رأى « قلت لكما لا تسألاني اليوم شيئاً، انقد عنا أنتما أجنبيان غريبان عني. أنتما البقية الباقية بعد ان مضى كل شيء كالحلم، آه لو رأيتماني وقد أحاط بي الناس في ثياب غريبة مختلفة على وجوههم ملامح غريبة » وقال أيضاً « وان كنتما لا تحسّان بعد بالهرم، فاني بدأت أحس بوقر ثلاثمائة عام ترزح تحتها نفسي »

يدخل بطل الالتفات إلى الوراء من البيت. فيذهب الى المدينة، يتنقل من شارع إلى شارع، فيجد انقلاباً عظيماً في الأشخاص والأشياء وفي طبائعها أيضاً فيعود إلى البيت وهو على حال من الاضطراب والتمّ، يقلّبه الواقع بين كفّي العقل والخيل، القناعة والشدة، اليقظة والحلم، وتعاوده آلام السنين الثلاثة والأربع عشرة التي نامها فباعدت بينه وبين الجيل الحاضر: يحسّ انه مخلوق كباقي الناس غير انه يختلف عنهم بازدواج الشخصية ازدواجاً متناقضاً، ويدرك انه يحمل ثقل قرن كامل

البنسيلين واحتقان الزور

أثبت طبيبان انجليزيان هما دكتور الكسندر . ب . مكدريجور ودكتور دافيد . ا . لونج في مقال نشرته الصحيفة الطبية البريطانية ان اعطاء المرضى الذين يشكون احتقان الزور والتهاب الوزتين وغيرها من الاصابات الميكروبية التي تصيب الحلق وما يجاوره ، أقراصاً مصنوعة من مادة البنسيلين تمتص في الفم أشبه بالاقراص التي تمتص في حالات السعال ، علاج ناجع لهذه الحالات

فان الالم والحمى وجراثيم المرض قد زالت في أربعة وعشرين ساعة في بعض الحالات. وأجريت تجاريب في ٣٥ مريضاً عولجوا بالبنسيلين فزالت عنهم أعراض المرض في ٢٤ ساعة والتأمت بثور الحلق في خمسة أيام وكانوا يشكون تشقق اللسان والحلق . كذلك كل للظاهر الدالة على وجود جراثيم مرضية . ولم يظهر على الذين عولجوا أي عرض يدل على احتمال عودة المرض، والمعروف أن حبوب اللثة ، حتى بعد شفائها بالعلاج العادي ، قد تعود بعد زمن الى الظهور، وان اللثة بعد الشفاء تكون عرضة للاصابة بسهولة.

وفي حالات أخرى حصل المعالجون على نتائج مرضية جداً بعد ٢٤ ساعة في حالات الاحتقان الوزي المسبب عن الميكروب السبحي Streptococcus ، خفت الاصابة وزالت الحمى . وشخص بالغ استطاع أن يأكل غذاء جاداً بعد ٢٤ ساعة من علاجه بالبنسيلين ، وكان مصاباً اصابة حادة بالحمى القرمزية

أعتقد أحياناً ان روح جدتي يستقر فيّ . وهل تستغرب أن يكون لي هذا الشعور ، وأن تكون حياتي قد تأثرت بها وبك أنت دون أن أدراها وقبل أن أراك » .

ألا يكفيك يا صديقي العزيز ان أنقل اليك هذه المواقف التي تقلبا صديقنا العزيز توفيق الى روايته عن تلك القصة الرائعة ؟

في النصرانية حكاية عن أحد حواري المسيح يدعى توما ، وهذا قال لزملائه « اذا كنت لا أرى أثر الحربة في جنب المسيح وأضع أصبعي في أمكنة المسامير في يديه ورجليه، فلن أؤمن بقيامته من الاموات » ويقال ان المسيح ظهر لتوما وقال له « طوبى لمن لم يرني وآمن بي »

حبيب الزحلاوي

من أنواع النبات

الطبي

﴿ حَبُّ القَلْب ﴾ هو البَلاذر والبَلاذِر ثمر شجر من الفصيلة الأَنَقارديَّة ينبت في جزائر الهند الشرقية اسمه النباتي Semecarpus Anacardium وبالانكليزية Marking Nut Tree وبالفرنسية Anacarde Oriental عصارة ثمره المرّ تستعمل صبغاً أسود لعمل إشارات على الأثواب وغيرها وله منافع عرفها الاطباء القدماء

﴿ حَبُّ القَلْت ﴾ هو الماش الهندي بزر نبات من الفصيلة القَرْنيَّة اسمه النباتيّ Dolichos biflorus وبالانكليزية Horse Gram وبالفرنسية Dolic biflore ينبت في قُلَّة الجبل بمَدْرَاس في الهند حيث تقلّ المياه . وهذه البزور حارَّة لاذعة يتداوى بها المنهود .

﴿ حَبُّ الكُلَى ﴾ بزور جَنْبَة أي شجيرة من الفصيلة القرنية اسمها النباتي Anagyris fœtida وبالانكليزية Bean Trefoil وبالفرنسية Bois Puant وهذه البزور تشتمل على شبه قلويّ يسمّى « اناجيرين » من مركباته هيدروبروميد الأناجيرين وهو منبّه للقلب . وقد تستعمل البزور ضد أوجاع الكليتين والأوراق مسهلة البطن.

﴿ حَبّ هان ﴾ هو الحَبْهان ويقال له الهال ثمر نبات من الفصيلة الزنجبيلية أو الكيتامنية ينبت في المنطقة الحارّة من أفريقية اسمه النباتي Amomum Melegueta وبالانكليزية Melegueta Pepper وبالفرنسية Graine de Grains of Paradise Minguette; Paradis

ويطلق الحبهان أحياناً على ثمر نبات آخر ينبت في جزائر الهند الشرقية من الفصيلة نفسها اسمه النباتي Elettaria Cardamomum وبالانكليزية Lesser Cardamom وبالفرنسية Petit Cardamome وهو المعروف باسم القرديون والقردمانا على ما سيأتي في مقال آخر . وكلا النوعين من المطر والأفاويه مقوّيان للمعدة والكبد .

﴿ الحرشاء ﴾ معروفة في مصر بالخرجير ويقال الجرجير والحرجر ويُعرف عند العامة بالحُبّيلة نبات يزرع من الفصيلة الصليبية اسمه النباتي Eruca sativa وبالانكليزية Rocket وبالفرنسية Roquette قيل إن أكله مفاد لداء الحفر الاسقربوط)

﴿ الخزنبل ﴾ نبات عطري مرّ الطعم من فصيلة القيصوم والبيلسان (الزكية) اسمه النباتي Achillea Millefolium وبالانكليزية Milfoil; Nosebleed وبالفرنسية Herbe aux Charpentiers; Milleteuille وهو منبه قليلاً ونافع للجروح وفي تفتيح السدد وتحليل الرياح وذكر له ابن هائل أوهاماً وخرافات منفعة . يشتمل على شبه قلوي يسمى « اشيلين » يتداوى به أحياناً مضاداً للحمى .

﴿ الحنك ﴾ ويقال له حمّص الأمير وضرس الجوز نبات له أشواك قوية من الفصيلة الزيجوفيلية ينبت بطبيعته في مصر اسمه النباتي Tribulus terrestris وبالانكليزية Turkey—blossom وبالفرنسية Trubule terrestre وهو مفتح ومدرّ للبول

﴿ حصا لبان ذكر ﴾ هو الكندر واليونانية خندروس ضرب من العلك أي صمغ شجر منه نوع يكون بجبال اليمن والصومال من الفصيلة البخورية اسم جنسه النباتي Boswellia وبالانكليزية Incense Tree وهذا الصمغ يستعمل في الروائح العطرية وبخوراً ويتداوى به مدرّ للطمث .

﴿ الحنشض ﴾ هو النبات المعروف في مصر بالعوسج من الفصيلة الباذنجانية اسم جنسه النباتي Lycium وبالانكليزية Box Thorn وبالفرنسية Licet; Lyciet تشمل أوراق

نوع منه على شبه قلويّ يسمى « ليسين » يتداوى به ويطلق الحضض على نبات آخر من الفصيلة النبقية اسمه النباتي Rhamnus infectoria وبالانكليزية Dwarf Buckthorn وبالفرنسية Nerprun des Teinturiers يشتمل على عصارة تصنع منها أقراص قابضة .

﴿ الخامشة ﴾ الشيطرج معرّب چيتَرَك بالفارسية شجيرة صغيرة من الفصيلة الرمّانيّة ذات أزهار بيض وجذور طوال رطبة مرّة وسُمّية يستعملها أهالي الهند أحياناً في أغراض غير مشروعة . اسمها النباتي Plumbago zeylanica وبالفرنسية Dentelaire de Ceylan

﴿ خُبْزُ الغُرَاب ﴾ البَهَارُ والعُرَارُ ويقال له عَيْنُ البَقَر (كاوْجَشم الفارسيّة) وبَهَارُ البرّ . نبت من الفصيلة المركّبة طيب الريح جعد ينبت أيام الربيع ورده أصفر الورق أحمر الوسط أعمق من ورق البابونج . اسمه النباتي Anacyclus radiata وبالفرنسية Camomille de Valence استعمله الأطباء قديماً في أمراض العيون .

﴿ الخَرَق والخَرْقَة ﴾ عشب قصير زحّاف من الفصيلة الرجليّة معروف في مصر بالرجلة ويقال له الفرفح والبقلة الحمقاء . قيل لها ذلك لأنها لا تنبت إلاّ في مسيل الماء فيقتلعها الماء ويذهب بها . ومنه المثل هو أحمق من رجلة . اسمها النباتي Portulaca oleracea وبالانكليزية Purslane وبالفرنسية Pourpier والرجلة تستعمل خضراً بسبب خاصّتها المبرّدة والمضادّة لفساد الدم (الاسكربوط)

﴿ الخِلال ﴾ حشيشة تسمى بالخلال الأموي لأن الأمويين كانوا يتخلّلون بها ويقال لها الإذخير والإذخير وحَلْفَة مكّة وطيب العرب من الفصيلة النجيلية اسمها النباتي Andropogon Schoenanthus وبالانكليزية Lemon Grass وبالفرنسية Citronnelle; Roseau de la Mecque; Jonc Odorant اعتبره الأقدمون محللاً ومفتحاً ومقطعاً ومنضجاً للاخلاط الغليظة ونافعاً للفالج واللقوة والنسيان .

محمد مصطفى الرمياطي

مكتبة المقتطف

تلقى كثيراً من الكتب المؤلفة والمترجمة حتى لقد يضيق الفراغ الذي نخصصه لباب المكتبة عن استيعاب النقود التي نعتمدها عن هذه الكتب. فآثرنا أن نجعل مكتبة المقتطف بابين الاول فنقد والثاني للتقريظ، فنقرظ بجميع الكتب التي تهدى في الباب الثاني، وننقد ما ننقد منها في الباب الاول. هذا فضلاً عما ننشره في باب المقالات من النقود المطولة.

فلسفة الاخلاق في الاسلام
وصلاتها بالفلسفة الإغريقية

تأليف الاستاذ محمد يوسف موسى — مطبعة الرسالة — ٣٠٤ صفحة من القطع الوسط
الطبعة الثانية — نشر دار الكتب الاهلية

بحث طريف يستهويك حقاً إذ تقبل على قراءته؛ فأنت تمضي فيه مضياً، لأنه عجب، وأنه يجري في سهولة ويسر امتاز بهما المؤلف في كتابته وما يطالع به جمهور قارئيه. وقد وجدت الطبعة الأولى من اقبال القراء ما دفعه أن يصدر هذه الثانية متضمنة زيادات وتعديلات وتحقيقات قيمة.

وقد بدأ الاستاذ كتابه بفصل إضافي يؤرخ فيه الأخلاق في الجاهلية والإسلام قبل عصر الفلسفة، واستطاع أن يجد توافقاً بين نظرية سقراط في أن «الفضيلة المعرفة» وبين قول زهير:

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم

ثم هو يعرض أخلاق العرب مستشهداً بشعرهم وحكمهم ووصاياهم، وذلك في إيجاز يرد القارئ لو طال، ولكن طبيعة الكتاب لا تحتمل الإسهاب في هذا الوجه، فحسبي أن يوفق المؤلف إليه في كتاب خاص يقرن فيه بين فلسفة البداوة العربية وبين الفلسفات الخلقية الأخرى.

وقد استشهد المؤلف في الكلام على معرفة الخير والشر بقول زهير:

الستر دون الفاحشات ولا بلقائك دون الخير من ستر

وفهم منه أنه «يريد أن يجعل اصطياد الرء من أمره، ورغبته في ستره، أمارة أنه شر»

والحق أن زهيراً لم يرد ذلك ، وإنما عنى أن بين الممدوح وبين الفاحشات حاجزاً من الحياء ، ولا ستر بينه وبين الخير [1] ، ولم يقصد به تقرير مبدأ ، أو تشريعاً لمذهب خلقي .

وقد اختار الاستاذ ثلاثة من فلاسفة الإسلام يمثلون ثلاث مذاهب مختلفة في المبادىء الأخلاقية ، فسكويه ممثل للأخلاق الفلسفية الصريحة ، والغزالي ممثل للأخلاق الفلسفية الدينية ، وابن عربي ممثل للأخلاق المبنية على التصوف . ورسم صورة خاصة للحالة العامة في عصور هؤلاء الفلاسفة .

بيد أن جعل « مسكويه » ممثلاً للأخلاق الفلسفية الصريحة قد يتعادل بعض الشيء حينما يتكلم المؤلف على « نزعته التوفيقية » بين ما يختار من آراء وبين ما يناقضها من حكم الدين والشريعة ، لأنها كما يقول مسكويه ص ١٠٩ « هي التي تقوّم الأحداث . وتعوّدهم الأفعال المرضية ، وتفيد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ للسعادة » ، فمسكويه لا يمثل الأخلاق الفلسفية الصريحة بكل ما يدل عليه هذا التعبير ، بل هو يعتبر دائماً أن الدين في الوقت الذي ينظر فيه إلى الفلسفة .

وقد وفق الأستاذ أبو ريان توفيقاً في الرد على من يرى أن مسكويه أخذ نظريته في الخلق وأن الغزالي أخذها فيما أخذ ، وساق لذلك أدلة قوية في ص ١٠٨ — ١١٢ . ولكنه لم يوفق في التعبير عن الغزالي في ص ١٩٤ بأنه يعمل على « انتهاب آراء غيره » فإن للإمام الغزالي احترامه بين المفكرين والباحثين ، فليس يصلح أن يقال فيه حين يرتضي رأي غيره أن يقال إنه إنتهبه وتقمصه ، أو سرقه كما ينبغي من التعبير في ص ١٩٨ . وذلك لأن الرأي متاع مشترك بين الناس . ولأن استعمال الغزالي ألفاظ غيره كلها أو بعضها لا يعد سرقة وانتهاباً ، فإن ذلك انما يصح أن ينسب الى صغار المفكرين المقلدين ، لا الى من لهم دنيا عريضة من الآراء والمبادىء . وكثيراً ما يشتد الوعي والحفظ عند المفكر حتى يكرر الصفحات العديدة من آراء غيره وكلامه ، ناسياً انه كلام غيره . المفكر أو ذاك ، وذلك لشدة انتباس هذه الآراء بنفسه وتمكنها من قلبه .

وفي كلامه على التفسير المنسوب لابن عربي يقول في ص ٢٣٣ : « على أن في نفس هذا التفسير دليلاً ماديًّا يحطه لغير ابن عربي قطعاً » ، ذلك انه في تفسير قول الله تعالى في سورة القصص : « وامتلأ إليك جناحك من الرهب » يذكر المؤلف نقلاً عن متعه عن شيخه الهندي نور الدين عبد الصمد . ولا ينسينا ما ذكر عند النقل ، انما الذي يعنينا أن نور الدين عبد الصمد هذا توفي في حدود عام ٦٩٠ هـ فلا يمكن ان يكون شيخاً لابن

(١) انظر ديوان زهير بشرح السكري ص ٩٤ .

عربي الذي ترقى عام ٩٣٨ . والأمر بيّن هنا لا يحتاج الى دليل آخر .

وليس هذا دليلاً فحسب كما ذكر الأستاذ ، على التتبع للمخطوطات العربية يلبي كثيراً من الحواشي التي أدخلت في اصلاب الكتب الأصلية وخفيت على بعض القارئين . ولست أذهب بذلك الى أن التفسير لابن عربي ، بل أقول : إن هذا النوع من الاستدلال استئناسي ظني ، لا قطعي يقيني .

كما ان الأستاذ في رده على مسكويه من ٩٢ في قوله ان التفضل لم يخرج عن شرط العدالة التي هي وسط بين طرفيها المذمومين ، وانما هو « احتياط حازم من صاحبه ليأمن التقصير ويصيب الوسط » قال ناقداً ذلك : « . . . واعتقد انه لم يصب المحز . قد يكون التفضل احتياطاً فيما يشتبه فيه العدل . أما في الأمور التي هي كمسائل الحساب في وقتها وضبطها ، أو التي هي من قبيل الحساب ، كشريكين ربحا مائة من الجنيهات — يريد الدنانير — فرضي أحدهما أن يأخذ لنفسه أربعين فقط ، فلا أدري كيف وماذا يكون الاحتياط ؟ ؟ » .

وهذا المثل الذي ساقه ليس من الدقة بمكان ، فان الشركة أيضاً مظنة للاحتياط حين القسمة ، فقد يظن أحد الشريكين أن زميله أولى بالزيادة لما بذل من جهد ذاتي أو معنوي فيما عاد على الشركة من أرباح .

وذكر الاستاذ في ص ٨٢ تعليقاً على قول مسكويه « فيعف ويشجع ويحكم » بقوله « لعلها من حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً » ولا ريب في هذا التفسير الذي ذكره ، حتى يستدعي « لعل » وأشباهها .

وفي ص ١٠٨ ذكر من كلام مسكويه : « والشره والخمود » صوابها « الشرّة » بكسر الفين وتشديد الراء المفتوحة ، وهي النشاط . وفي الحديث « إن لهذا القرآن شرّة ، ثم إن لكل شرة فترة » وهي التي تقابل الخمود ، لا الشره .

وذكر الاستاذ في ص ١٠٧ المثل العامي « صديقك يعلمك الرماية » وليس أولى بهذا المقام من المثل الفصيح : « وعين الرضا عن كل عيب كليلة » .

وذكر أيضاً في ختام كتابه فهرس المراجع العامة ، مرتبة حسب ورودها في البحث ، ومما يسترعي النظر أنه جرى على هذه الطريقة أيضاً في كتابه الذي : « ابن رشد الفيلسوف » . وترتيب هذه المراجع حسب ورودها في البحث امر له قيمة فهرسة خاصة ، وكان أولى به أن يرتبها على حروف المعجم ، وسوف يفعل إن شاء الله .

وقد ذكر في ص ٨٧ من مراجعه « الإتباع » لابن الأستاذ السندوبي ولا ريب أنه يريد « المقابسات » لا الإتباع .

ثم نعود أدراجنا إلى عنوان الكتاب فنجد فيه كلمة « الفلسفة الإغريقية » وليس كذلك يقولها العرب . والأجدر أن تجعل « الفلسفة اليونانية » .

ويعد فالأستاذ الجليس محمد يوسف موسى حقيق بأن يهنأ بهذه (الطبعة الثانية) من كتابه ، حري بكل تقدير وتكريم .

عبد السلام محمد هارون

الشرع واللغة

للأستاذ الشيخ أحمد شاكر

الأستاذ احمد شاكر من العلماء الذين أوتوا حظًّا كبيراً من الشجاعة في القول ، والبصر في الدفاع عن الحق ، والالتزام لما يوجبه أدب البحث والمناظرة ، ورسالته هذه مع لطف حجمها ، تمثل هذه الخصائص فيه .

فقد نشر سعادة عبد العزيز فهمي باشا اقتراحه كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، وتناوله من الناحية الفنية كثير بالرد ما بين قال ومعتدل ، أما الاستاذ شاكر فقد تولى هذه الناحية ، وتناول مسائل ثلاث — أقحمها الباشا في كلامه إقحاماً — هي في الصميم من القرآن والدين والتشريع والاجتماع ، وهي من الخطورة بحيث لا ينبغي لمسلم يغير بدينه ويغار على شريعته ويريد الخير لأمته أن يغفلها أو يتهاون فيها .

١ — أولى هذه المسائل ما ذهب سعادة الباشا من موافقة المستشرقين في ان الخلاف

رسم الكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة ، وبخاصة حين يضاف الى هذا فقدان النقط والشكل والاعراب . وقد كان رد الاستاذ على هذه الفرية رداً محكماً مؤيد بالدليل .

٢ — والمسألة الثانية هي ما ذكره عن الباشا بحروفه من أن الدين عقيدة وعبادة فحسب ، وأما الشريعة فليست في شيء منه ، وإذاً فلنا ان نختار ما نرى من قوانين أوربا ص٤٢-٦٠ .

ولا أريد ان ألخص ما جاء به الأستاذ في هذا القسم القوي جداً من الرسالة ، فذلك يذهب بالكثير من جماله وجلاله ، وخير للقارىء أن يقرأه كله بنفسه . ولكني أذكر انه من العجيب المؤلم ، او السخرية اللاذعة ، أن يذهب الباشا هذا المذهب في فهم الدين الاسلامي فيذهب بشطره ، ويسوّي بينه وبين ما سبقه من أديان !

٣ — والمسألة الثالثة هي وجوب أن يكون الكتاب والسنة مصدر القوانين في مصر وقد جاء في ذلك بمحاضرة كان أعدّها مذعنين وحيل بينه وبين القائها . وقد تكلم فيها عن أثر القوانين الأجنبية إذا حكمت بها الأمة زمناً طويلاً ، هذه القوانين التي عملت على

صبغ الأمة صبغة إلحادية ، والتي كان منها أن زادت الجرائم ما دام المجرم لا يشعر بإثم أو خوف من الله أن يتنبه له أن يتفلت له من القانون .

والأستاذ الفاضل لا يدعو في هذه الناحية الى التقاليد بل لا يدعو الاّ الى اختيار الخير من آراء المشرعين المسلمين ومن آراء رجال القانون مما يدخل تحت قواعد الكتاب والسنة

وبعد ، فهذه رسالة قيمة يشع منها نور الاخلاص للدين والحق ، وتشيع فيها الرغبة في العمل لما فيه خير الامة في حاضرها ومستقبلها . والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

محمد يوسف موسى

---

١ — مشكلة البطالة : تأليف حسين حمدي مدير مكتب البحوث الفنية بوزارة الشئون الاجتماعية ، بحث علمي ودراسة مقارنة ، نشرته جامعة الكتاب ، ويطلب من مكتبة النهضة المصرية ٤٣٢ صفحة من القطع الأوسط ، ١٩٤٤

٢ — أسرار الراهقة في الفتاة : تأليف الدكتور أندراوس شطاشيري ، حوار دار بين والدة وابنتها حيناً وبين والد وابنته حيناً آخر على دور المراهقة في الفتاة وما يجب أن تكون عليه من صحة جيدة ونظام حسن في معيشتها وما يجب عليها أن تعلمه عنه وتعمل به وهي في هذا الدور الخطير الذي لاشك انه ركن كبير الشأن يقوم عليه نظام صحتها وسعادتها ، الطبعة الثانية ، ٨٨ صفحة من القطع الصغير ، ١٩٤٥

٣ — الانجليز كما عرفتهم : تأليف أمين المميّز ، مطالعات ومشاهدات عن المجتمع البريطاني ، الجزء الاول ، طبع بمطبعة السكك الحديدية للحكومة العراقية ببغداد ، ٣١٢ صفحة من القطع الكبير . ستة فصول في العدل والقضاء والرأي العام والتربية والرياضة والدين الخ . لم يذكر به سنة الطبع

٤ — القومية والعروبة : تأليف نقولا زيادة خريج جامعة لندن والأستاذ بالكلية العربية والمدرسة الرشيدية ببيت المقدس . نشرته مكتبة الطاهر بيافا وطبع بمطبعة الهراء بالقدس ، ١٠٦ صفحة من القطع الاصغر . ١٩٤٥

٥ — ساعات الصمت : تأليف الاستاذ محمد أمين حسونة ، شعاره : الصمت عدة الأرواح الكبيرة وغذاء المفكرين . مقالات في النقد والتأمل ، ١٧٢ صفحة من القطع الاوسط ، ١٩٤٥ القاهرة

٦ — الأسرة والمجتمع : تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي . أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . الطبعة الثانية ونشره دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . والكتاب من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية . ٤٠٢ صفحة من القطع الأوسط ، ١٩٤٥ القاهرة

٧ — نساء عاشقات : نظم صلاح الدين المنجد ، من منشورات أصدقاء الكتاب ، مطبعة الترقي بدمشق . الطبعة الأولى . ٩٦ صفحة من القطع الأوسط ، ١٩٤٥

٨ — البلاغة العصرية واللغة العربية : تأليف الأستاذ الكبير سلامه موسى ، نشرته المطبعة العصرية ، ١٤٨ صفحة من القطع الصغير ، ١٩٤٥ ، القاهرة . وهذا الكتاب من الكتب الفذة الجديرة بالدرس والتقدير وسنفرد لدرسه مقالاً خاصاً في عدد مقبل من المقتطف .

٩ — الشوق العائد : مجموعة شعر للأستاذ الشاعر علي محمود طه المهندس . نشرته دار احياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

وهذه المجموعة من عيون الشعر الحديث وكفى أن مؤلفها شاعرنا الكبير علي محمود طه ، والطبع غاية في الاتقان ، والغلاف قطعة فنية رائعة جديرة بأن تصدر عن ريشة الفنان عبد العزيز خالد درويش . أخرجته شركة فنون الطباعة في ثوب رائع من الفن الصحيح ، ١٣٠

١٠ — الحرية : مجموعة شعر من تأليف بوسف الخال ، من منشورات دار الكتاب ، ١٠٠ صفحة من القطع الصغير ، من بلمر الشام ، ١٩٤٤

١١ — الصهيونية : تأليف أنور كامل . وهو مهدى إلى المجاهدين الأحرار الذين بذلوا دماءهم في فلسطين دفاعاً عن قضية العرب . مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ٦٤ صفحة من القطع الأوسط ، ١٩٤٥

١٢ — روح التربية والتعليم : تأليف محمد عطية الابراشي خريج جامعتي أكسفورد ولندن وأستاذ التربية وعلم النفس بدار العلوم . نشرته دار احياء الكتب العربية بالقاهرة . الطبعة الثانية : ١٩٤٤ ، ٢٧٦ صفحة من القطع الأوسط

١٣ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى : للدكتور زكي محمد حسن ، نشرته دار المعارف بمصر . والكتاب مطبوع أحسن طبع وقد نقل رسومه الأستاذ فريد شافعي المهندس

بالقصور الملكية والمدرس المنتدب بمعهد الآثار الاسلامية بجامعة فؤاد الأول؛ ١٩٢ صفحة من القطع الصغير ، ١٩٤٥

١٤ — التعليم في رأي القابسي : تأليف الدكتور احمد فؤاد الاهواني وملحق به الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي . نشرته مكتبة الخانجي بمصر . وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٣٢٨ صفحة من القطع الكبير ، ١٩٤٥

١٥ — ذكرى الأفغاني في العراق : بقلم عبد المحسن القصاب المحامي(١٣٦٤هـ-١٩٤٥م) أصدرته ببغداد مطبعة الرشيد ، ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط .

١٦ — مرايا الناس : تأليف السيدة الفاضلة وداد سكاكيني ، من منشورات لجنة النشر للجامعيين ، وتوزعه مكتبة مصر بالقاهرة ، ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، (١٩٤٥) . وسنعود الى نقده بما يستحق من العناية .

١٧ — البيادر : للاستاذ ميخائيل نعيمه ، التزمت طبعه ونشره دار المعارف بمصر ، ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط ، ولنا نظرة أخرى فيه .

١٨ — توفيق الحكيم : تأليف المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم [illegible] طبعه ونشره دار مصر للطباعة والنشر ، (١٩٤٥) ، وهو نقد [illegible] من القطع المتوسط .

١٩ — في تلك الأيام عاش المعري : تأليف عبد الرحمن جبير ، نشرته المطبعة الوطنية بحلب ، ٨٨ صفحة من القطع الأوسط ، (١٩٤٥) .

٢٠ — مشكلة الفلاح : من مطبوعات لجنة نشر الثقافة الحديثة ، صدر عن دار القرن العشرين للنشر — القاهرة (١٩٤٥) ٨٠ صفحة من القطع الصغير ، ولنا عودة الى هذا الكتاب .

٢١ — الروائع لشعراء الجيل : الجزء الاول من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة الحديثة تأليف الشاعر الناقد الاستاذ محمد فهمي أهداه الى أرواح الثلاثة الخالدين من شعراء الجيل م . ع المهشري وأبو القاسم الشابي والتيجاني يوسف بشير . وسنعقد فصلاً في نقد هذا الكتاب تنشره في عدد مقبل من المقتطف .

باب الأخبار العلمية

البنسلين

تنبهت المقتطف تجارب البنسلين ، ووافت قراءها تباعاً بأنباء تأثيره في مختلف الأمراض

وقد أفضى حضرة صاحب السعادة الدكتور علي ابراهيم باشا وكيل وزارة الصحة ، بحديث إلى مندوب « الاهرام » ذكر فيه نتائج البحوث التي أجريت في معمل الرمد التذكاري بالجيزة لعلاج الرمد بمادة البنسلين ، فقال :

« يعد الرمد الصديدي من أهم العوامل التي تؤدي إلى فقدان البصر ، وخاصة إذا كان ناشئاً عن عدوى « الجونوكوك » وميكروب السيلان ، فلما كشف البنسلين ، وعرف تأثيره العجيب في علاج السيلان ، كان من الطبيعي أن يتجه التفكير إلى استخدامه في هذا النوع من الأرماد الصديدية ، ما دام الميكروب المسبب لهما واحداً . وقد جرب البنسلين في شكل قطرة ومرهم ، توضع مراراً في العين ، فوجد تأثيره ضعيفاً وفائدته محدودة . لذلك رؤي تجربته بطريق الحقن فاستعمل حقناً في العضل كل أربع ساعات لمدة ٢٤ ساعة واقتصرت التجارب على الرمد الصديدي الناشيء من ميكروب الجونوكوك وحده .

وقد اختيرت لهذا الغرض ثلاث حالات لأشخاص تتفاوت أعمارهم ودرجة إصابتهم . إحداها لغلام في التاسعة من عمره ، والثانية لطفلة عمرها أربع سنوات . والثالثة لرجل عمره ٤٥ سنة . وكانت إصابة الغلام برمد صديدي خفيف غير مصحوب بمضاعفات ، وقد أظهر الجونوكوك عند هذا الغلام قوة مقاومة شديدة للبنسلين ، فلم يختف الميكروب من عينه إلا بعد عشر ساعات ، أي بعد ثالث حقنة . ومع أن الحالة تحسنت من الوجهة الاكلينيكية — إذ قلت الإفرازات واختفى ورم الجفون واحتقان الملتحمة ، واستطاع المريض فتح عينيه ، فقد ظهر الميكروب ثانية بعد ٢٥ ساعة من آخر حقنة .

وكان الرمد الصديدي عند الطفلة مصحوباً بقرحة خفيفة في العين اليسرى وقد اختفى الميكروب بعد ثلاث ساعات من أول حقنة ، وتحسنت حالة الجفون والملتحمة من الوجهة الاكلينيكية ولكن بقيت القرحة كما هي ، ثم عاد الميكروب إلى الظهور بعد ٢٤ ساعة من آخر حقنة .

أما إصابة الرجل فكانت أشد . وذلك إن الرمد الصديدي عنده كان مصحوباً بقرحة مع فتق (قرحة منبثقة) في العين اليسرى . وقد اختفى الميكروب بعد ثلاث

ساعات أيضاً ، وتحسنت حالة الجفون والملتحمة وخاصة في العين اليمنى ، إلاّ أن القرحة والفتق القرحي واحتقان العين وما بها من الآلام ، كل هذه لم تتحسّن ، ولذلك ظهر الميكروب بعد ٤٨ ساعة من آخر حقنة .

وقد وضعت الحالات الثلاث التي تقدّم ذكرها موضع الملاحظة والفحص ثلاثة أيام أخرى ، بدون أي علاج . فلما لم يختف الميكروب ولم تلتئم القروح ، أجريت بعض العلاجات النوعية ثلاثة أيام فاختفى الميكروب من أول يوم ، والتأمت القروح .

وقد تبين أن الوقت الذي أعطيت فيه الحقن (وهو ٢٤ ساعة) لم يكن كافياً . ولهذا أجريت التجربة في حالتين ، وأعطيت الحقن لها مدة ٤٨ ساعة ليلاً ونهاراً . فشوهد التحسن من الناحية الاكلينيكية إلاّ أن هذه الطريقة كانت متعبة وغير عملية لأنها تستدعي تخصيص طبيب لاعطاء الحقن ليلاً كل ثلاث ساعات . وهذا يتعذر تنفيذه إذا كان عدد المرضى كثيراً ، كما هي الحال في الأرماد الصديدية . وهنا قال الدكتور شوشة باشا :

والخلاصة أننا وجدنا أن هناك تأثيراً لمادة البنسلين في الأرماد الصديدية البسيطة ، والتي لا تكون مصحوبة بالمضاعفات التي يسببها ميكروب الجونوكوك ، غير أن طريقة العلاج به تحتاج إلى تخصيص أداة طبية تتفرّغ لحقن المريض ليل نهار مما يجعل تنفيذها من الوجهة العملية غير مستطاع ، وخاصة اذا لاحظنا أن حالات الأرماد الصديدية كثيرة الانتشار في المدن والريف

ثم اختتم الدكتور شوشة باشا حديثه قائلاً : « وأرى أن أذكر لهذه المناسبة ، أن كثرة انتشار الرمد في مصر ، حتى على التفكير في استخدام بعض المركبات النوعية التي أثبتت التجارب والمشاهدات شدة تأثيرها ، على ألاّ يكون استخدامها مقصوراً على المستشفيات الرمدية ، بل يشمل ذلك جميع الوحدات التابعة للوزارة في الأقاليم

عودة الى دولاب الخزاف

وردت الأنباء من بلاد الدنيا الجديدة بأن المصانع الأميركية أصبحت تعتمد اليوم على آلات صناعية قديمة العهد في انتاج أجدث الأسلحة الحربية . فدولاب الخزّاف مثلاً ، الذي يسوي به الخزاف آنيته يرجع تاريخ اختراعه الى عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ورغم ذلك فان العمال الأميركيين يستخدمون في صناعة القنابل أجهزة مماثلة لدولاب الخزاف ليستطيعوا بواسطتها تشكيل القنابل جسماً تقتضي الحاجة . وقد برهن هذا الأسلوب الانساني على زيادة كبيرة في انتاج القذائف ، كما انه خفض نسبة « الخردة » لأن عملية تسخين المعادن لدرجة المرونة جعلت من الميسور انتاج قذائف متقنة الصنع مضبوطة الأبعاد .

وديع فلسطين

دراسة الفيروس

بميكروسكوب يكبر ٥٠ الف ضعف

قد تؤدي الاكتشافات الحديثة عن الأحياء المتناهية الدقة من الميكروبات والفيروس الى القضاء على عدد من الأمراض الخبيثة . فان فحص هذه الاحياء بالميكروسكوب الكهربائي أتاح فحصاً عميقاً لحياتها الخاصة ، وألقى ضوءاً وضح كيف تعيش وكيف تعمل .

فقد قال الدكتوران ستيوارت مود وتوماس اندرسن في النشرة الأخيرة للجمعية الطبية الاميركية ان الانسان لم يستطع مقاومة هذه الأحياء العادية ذات الخلية الواحدة لمدة قرون خلت . ولهذا لم يستطع مقاومتها أما الآن وبفضل هذا الميكروسكوب المضيء فتيسر له دراسة هذه الاحياء التي كانت تنفذ لدقتها من المرشحات .

فان الميكروسكوب الكهربائي يكبر حجمها الى ٥٠٠,٠٠٠ ضعف فأتاح للطب ما أعطاه من معلومات عنها أن يقاتلها ويوقف ضررها . فقد تيسر بواسطته رؤية جدران الخلايا وميز بين رؤوس الاحياء وأذنابها مثل ميكروبات حمى التيفوس .

***

ومن هذه الدراسات تبين أن بعض هذه الاحياء تتطفل على خلايا الجسم بينما يعيش غيرها دون حائل مستغلاً ضوء الشمس والكبريت أو الامونيا كمصدر لنشاطه . وتتناول الابحاث الميكروسكوبية الكهربائية الآن البحث عن مصدر الاجسام الضارة التي يفرزها الفيروس الذي ربما أدّى وجوده في الخلية الى فقد توازنها الكيماوي .

صور للمجموعات الشمسية

التقط مرصد ولسن في السنوات الأخيرة عدة صور لبعض المجموعات الشمسية تعتبر من أدق الصور التي سجلت حتى الآن . ولأن بعض هذه المجموعات تبعد عن الأرض ٣٠٠ بليون بليون ميل فان التقاط صورها إحتاج إلى فتح عدسة آلة التصوير مدة ٧٥ ليلة . ولوحظ أثناءها ان حركة الآلة تتمشى بالدقة مع الأنعمة المقبلة من المجموعات الشمسية

وكان الغرض من تسجيل هذه الصور كشاف التغيير الذي يحدث في الألوان المتعلقة من المخروطات الزجاجية . ولهذا كان من الضروري جداً ملاحظة دقة التصوير ووضوح الصور ففتحت العدسة ١ إلى ٣٠ من البوصة أي أصغر من رأس الدبوس

التنبؤ بالمرض قبل حدوثه

سجلت معامل ديبونت بأميركا جهازاً لتسجيل أصوات القلب سهل الحمل يتاح بواسطته الكشف عن الأمراض التي قد تصيب الانسان قبل حدوثها بمدة طويلة وذلك عن طريق التغييرات التي تنتاب الدورة الدموية . وهذه الآلة الكهربائية ترسل علامات الاضطراب في الدورة الدموية . فقبل أن يشعر الانسان بأي تعب يستطيع هذا الجهاز ان يبين المرض الذي سيصاب به

وهذه الأصوات دقيقة جداً لا تستطيع أجهزة ضغط الدم المعروفة تسجيلها. ويتكون هذا الجهاز من ميكروفون يثبت على صدر الانسان وقرص قياس مدرج أو شريط حساس يسجل الجهاز على أحدهما حركات القلب

الشيكولاتة أحسن وسط للفيتامينات

تهتم مصانع الشيكولاتة بصنع قوالب خاصة منها لعلاج الأطفال في اوربا المحررة من أمراض سوء التغذية ، فبعد عدة أبحاث طبية وكيماوية وجد العلماء ان زبدة الكاكاو هي أحسن وسط تعيش فيه الفيتامينات محتفظة بموادها الضرورية لاعادة الصحة والنشاط لمن فقدوها نتيجة لسوء التغذية المستمر . وقالب زنته أوقية واحدة من هذه الشيكولاتة مزود بفيتامينات (ا) و (د ا) و (ج) و (ب ١) كاملاً بكل حاجته من الغذاء .

وجربت هذه الشكولاتة في اطفال جزيرة مالطة ممن تتراوح أعمارهم بين ٧ سنوات و ١٤ سنة ممن قاسوا سوء التغذية فترة طويلة اثناء حصارها فكانت النتائج باهرة . وعلى هذا الأساس توزع القوات المتحالفة كميات كبيرة من الشيكولاتة على البلدان التي تحررها من اوربا

غلام يخترع طائرة

اخترع شاب اميركي في التاسعة عشرة من عمره طرازاً جديداً من الطائرات التي تهبط وترتفع عمودياً وليس لها ذيل . ولها محركان فوقيان ويدوران في اتجاهين متضادين ، وطول الطائرة ١٢ قدماً ، وطول كل من المحركين ٢٥ قدماً . وقد بدأ هذا الشاب في وضع تصميمها عندما كان غلاماً عمره ١٦ سنة فقط .

ويقول بعض اخصائي الطيران أنها قد تصبح طائرة المستقبل

لكشف عيوب المعادن

سجل أحد المخترعين آلة للكشف عن عيوب المعادن بالموجات الصوتية ، فعند ما تختبر هذه الآلة قطعة من الصلب مثلاً فانها تطلق موجتها التي ان صادفت عيباً ارتدت وسجلت الآلة وقت رجوعها . وبه يحدد موضع العيب .

وتختبر هذه الآلة قطعة من المعدن طولها ١٠ أقدام في ثانية واحدة

القراءة في الظلام

يستطيع البحارة وقادة الجيوش قراءة خرطهم في الظلام الدامس ؛ فقد اكتشف الكيماويون مادة مضيئة اذا أضيئت إلى حبر الطباعة أرسلت الكلمات المطبوعة شعاعاً في الظلام ، وان أضيفت هذه المادة إلى مواد صناعة الورق أضيئت صفحاته . وفي كلتي الحالتين تسهل القراءة وهو مايتبع في ميادين القتال وأثناء سير السفن في الظلام

سيارات ما بعد الحرب

صنعت إحدى شركات السيارات سيارة تسع لركوب ثلاثة أشخاص وهي تزن ٤٥٠ كيلو ، ومصنوعة من الالومينيوم والمغنيز والدورالمين ، ويكفيها جالون واحد من البنزين لقطع مسافة ٤٠ ميلاً وتحركها مجموعة بالغي تبريد هوائي .

ثلاث عمليات دفعة واحدة

يستعمل بعض المزارعين الاميركيين آلة تحرث وتعزق وتمهد الأرض في عملية واحدة وبغوص سلاحها في الأرض ست بوصات

مكواة آلية

اقتضت مصالح المكاوي و تصميم نوع جديد من المكاوي الكهربائية ، فصنعت مكواة سلايس الصابونية الشكل ، لا تحتاج لتشغيلها الى رفعها من مكانها بل دائماً ترتكز على أحد طرفيها وما عليك إلا دفعها الى الاتجاه الذي تريده .

فناجين الشاي من العجائن

صنعت فناجين الشاي وأطباقه من العجائن (الباغة) وأثبتت انها أصلح من منيلتها دن الصيني لأنها ليست سهلة الكسر كما انها تحتفظ بشكلها الطريف مدة طويلة

قارب لا يغرق

ظل رجال البحرية البريطانية سنتين يحاولون اغراق أحد قوارب النجاة التي اخترعها أحد المهندسين ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح . فان ملأه بماء البحر وحده لا يكفي لاغراقه . فجربوا تحميله بأثقال كثيرة هبطت به إلى قاع البحيرة، فلما أزيلت الأثقال طفى القارب إلى سطح الماء مرة أخرى. أما عدة هذا القارب فهي الاسرار العسكرية

أنابيب ماء من القاب

استعيض في الصين عن أنابيب الماء المعدنية بأنابيب من قاب الباميو فاستطاعت القوات الأميركية مد أنابيب ماء طولها ٦٠٠ قدم في مقاطعة يونان في الصين . فقد لاحظ الأميركيون ان هذا النوع من القاب ينمو بكثرة في تلك الجهات وانه صالح لهذه العملية فأعدوه لهذا الغرض ، وأنشأوا منه أول خط مائي لمد القوات العسكرية بالماء اللازم لها من الينابيع . وبذلك وفروا ما زنته ٦٧٨ رطل من الأنابيب المعدنية فضلاً عن نفقات صنعها ونقلها

ماء عذب من البحر الملح

اذا غرقت سفينة ولجأ بحارتها ومسافروها الى قوارب الانقاذ فانهم يستطيعون الحصول على ماء عذب من ماء البحر الملح . وذلك بأن ينصروا قطعة من القماش في مائه ثم يضعونها تحت غطاء لا ينفذ منه البخار ومرتفع عنها قليلاً . فان الماء العالق بقطعة القماش سيتبخر بفعل حرارة الشمس ثم ينكثف على شكل نقط ماء تسيل إلى حافة الغطاء المصنوعة على شكل أنابيب تجمعها في أي أناء ليشربه الناس الى أن يأتيهم الفرج

التليفزيون في المستقبل

صممت احدى شركات الاذاعة اللاسلكية جهازاً صغيراً للنشر بعد الحرب وهو عبارة عن راديو مصوَّر (تليفزيون). وليس من الضروري أن تجلس بجوار الجهاز اثناء الاذاعة لانه يسجلها بطريقة آلية على سلك دقيق من الصلب تستطيع استعادة سماعها في أي وقت تشاء

الاذاعة وأوجه القمر

أعلن أخيراً ان نقاء الأصوات ووضوحها في أجهزة الاذاعة له صلة باختلاف أوجه القمر فتتحسن من التربيع الأول الى ما قبل البدر الكامل بقليل ، ومن التربيع الأخير إلى ما قبل المحاق بأيام .

فوزي الشنوي

فهرس الجزء الاول

من المجلد السابع بعد المائة

١ مجلس الاقتصاد والاجتماع في الهيئة العالمية الجديدة : فؤاد صروف

٨ قواعد النظام المالي : فؤاد محمد شبل

١٦ افتونا

١٧ وعلم آدم الأسماء : دكتور توفيق صادق سليط ٢٠ حمى الحمام

٢١ الاتحاد القومي : ادوار مرقص ٢٤ من حكمة التأمل : أحمد لطفي السيد باشا

٢٥ الماء (قصيدة) : عدنان مردم بك

٢٦ نشأة سيادة مصر على البحار : ابراهيم ابراهيم يوسف ٣٢ اقطع العصب

٣٣ عين زبيدة في مكة : عثمان رفقي رستم ٣٧ عين الطبيعة

٣٨ حق غريق في بحر من الباطل : منصور رجب

٤١ الرأي العام الاجتماعي وكيف تكوّنه في مصر : سلامه موسى

٥٠ جنة الشوك

٥٦ كيف تحفظ صحتك — الماء : فهمي عطا الله

٥٧ القلب وأمراضه : دكتور عبده وزق

٦٤ الأحلام والروح : نقولا الحداد

٦٧ الى الورقاء : حبيب الزحلاوي ٧١ البنسيلين واحتقان الزور

٧٢ من أنواع النبات الطبي : محمود مصطفى الدمياطي بك

٧٥ مكتبة المقتطف * فلسفة الاخلاق في الاسلام وصلاتها بالفلسفة الاغريقية : عبد السلام محمد هارون. الشرع واللغة : محمد يوسف موسى مشكلة البطالة . آثار المرأة في الثقافة . الانجليز كما عرفتهم . القومية والعروبة . ساعات الصمت . الاسرة والمجتمع . نساء عاشقات . البلاغة العصرية واللغة العربية . الشوق العائد . الحرية . العبقرية . روح التربية والتعليم الرحالة المسلمون في العصور الوسطى . التعليم في رأي الفارابي ذكرى الانقلاب في العراق . مرآة النفس . البيادر . توفيق الحكيم في تلك الايام عاش المعري . مشكلة الفلاح . الرواشح فشعراء الجبل

٨٢ باب الاخبار العلمية * الفضاء . عودة الى دولاب الخزاف: وديع فلسطين . دراسة الفيروس . مكروسكوب يكبر ٥٠ الف ضعف . سور فجوجرات الشمسية . الفايز بمرض قبل حدوثه . الشيكولاته أحسن وسط لفيتامينات . غلام يخترع طائرة . لكشف عيوب المعدن . القراءة في الظلام . سيارات ما بعد الحرب . ثلاث عمليات مرة واحدة . مكواة آلية . فناجين للشاي من العجائن . قارب لا يغرق . تايب ماء من الغاب . ماء عذب من البحر المالح . التليفزيون في المستقبل . الاذاعة وأوجه القصر : فوزي الشتوي